**ملامح الشخصية الإيجابية في سورة غافر**

**د. عبد الرحيم حمدان حمدان**

**Abed el Raheem Hamdan Hamdan**

**أستاذ مساعد - غير متفرغ ، جامعة القدس المفتوحة – غزة - فرع الشمال/ فلسطين**

[**Abedhamdan2013@yahoo.com**](mailto:Abedhamdan2013@yahoo.com)

**ملامح الشخصية الإيجابية في سورة غافر**

ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى إلقاء الضوء على مكون مهم من مكونات الخطاب القرآني في سورة غافر، وهو رسم ملامح الشخصية الإيجابية، وكيفية تشكيلها على المستويات الفنية والفكرية المتعددة، وتأثير هذا التشكيل في الأداء الوظيفي للشخصية.

قامت الدراسة على مدخل وخمسة مباحث، تضمن المدخل تحديد عناصر الدراسة وهما عنصران: في رحاب سورة غافر، الشخصية وملامحها وأبعادها، وتولى كل مبحث رصد ملامح الشخصيات الإيجابية وصفاتها في سورة غاطر، فجاء المبحث الأول عن الملامح الإيجابية لشخصية موسى– عليه السلام –، أما المبحث الثاني، فتضمن المعالم الإيجابية لشخصية مؤمن آل فرعون، في حين كان المبحث الثالث عن الملامح الإيجابية لشخصية يوسف– عليه السلام-، أما المبحث الرابع، فتضمن المعالم الإيجابية لشخصية محمد– عليه الصلاة السلام–، وتناول المبحث الخامس الملامح الإيجابية لشخصية الملائكة الكرام- رضوان الله عنهم-.

احتكمت الدراسة إلى منهج التحليل الفني، وقد ختمت الدراسة بالنتائج التي توصل إليها، ومن أهمها: أن الشخصية الإيجابية بالرغم من أنها شخصيات دينية واقعية، فإنها احتفظت بقدر كبير من الخصائص الجمالية، وإن ثمة قواسم مشتركة في رسم معالم تلك الشخصيات الإيجابية.

**الكلمات المفتاحية:** ملامح، الشخصية الإيجابية، سورة غافر.

**Positive personal features in Sura Ghafir**

**Abstract**

The purpose of this study is to shed light on an important component of the Qur'anic discourse in Surat Ghafer, which is the characterization of positive personality, how it is formed at the various artistic and intellectual levels, and the effect of this formation on the personality function of the personality.  
  The study included an introduction and five studies. The portal included the identification of the elements of the study, which are two elements: in the recitation of Ghafer's character, personality and its features and dimensions. Each study examined the features of positive characters and their characteristics in Surah Fatir. The fourth section contains the positive features of the character of Muhammad - peace be upon him - and the fifth topic dealt with the positive features of the personality of the angels - Satisfied God pleased with them.

The study focused on the method of technical analysis. The study concluded with its findings, the most important of which is that positive personality, although it is a real religious figure, retained a great deal of aesthetic characteristics.

**Keywords**: positive personality, Surat Ghafer

**مدخل إلى تحديد مفاهيم عنوان الدراسة:**

قبل البدء بتحليل الشخصيات الإيجابية يتعين تحديدمفاهيم عنوان الدراسة، والتي تتلخص في بعدين جوهريين هما: البعد الأول: في رحاب سورة غافر، والبعد الأخير: الشخصية، ملامحها وأبعادها.

**أ - البعد الأول: في رحاب سورة غافر:**

1. **تسميتها:** سورة غافر سورة مكية([[1]](#endnote-1)), وسُمِّيت بهذا الاسم لورود كلمة "غافر" في مطلع السورة، وذلك في قوله تعالى:غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ(غافر:1)؛ لأن الله – سبحانه وتعالى-ذكر هذا الوصف الجميل الذي هو من صفاته الحسنى في مطلع السورة الكريمة, إذ اتصف المولى – عز وجل- بالمغفرة والعفو والصفح على سبيل الإطلاق.

وتسمى كذلك سورة المؤمن، فقد روى الترمذي عن [أبي هريرة](http://library.islamweb.net/newlibrary/showalam.php?ids=3) قال: [قال: رسول الله - صلى الله عليه وسلم - "من قرأ حم المؤمن إلى...." إليه المصير"،](http://library.islamweb.net/newlibrary/display_book.php?flag=1&bk_no=56&ID=5542#docu) وآية الكرسي حين يصبح، حفظ بهما حتى يمسي، ومن قرأهما حين يمسي، حفظ بهما حتى يصبح"([[2]](#endnote-2))، وتحمل السورة أسماء أخرى أقلّ شهرة من الاسم الأول مثل: سورة حم غافر, وسورة الطَّوْل([[3]](#endnote-3)).

1. **محور السورة:** ُنيت سورة غافر شأنها شأن السور المكية بأمور العقيدة؛ لذا جاء المحور الأساسي لها الصراع والمعركة بين الحق والباطل والهدى والضلال, والإيمان والكفر, والدعوة والتكذيب والإصلاح والفساد ([[4]](#endnote-4))، ولهذا جاء جو السورة مشحوناً بطابع العنف والشدة, وكأنه جو معركة رهيبة يكون فيها الطعن والنزال, ثمَّ تسفر عن مصارع الطغاة, فإذا بها حطام وركام([[5]](#endnote-5)).
2. فضائل سورة غافر: وردت احاديث صحيحة عن فضائل سور الحواميم بعامة منها: عن أنس بن مالك سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم – يقول: " إن الله أعطاني السبع الحواميم مكان التوراة، وأعطاني الراءات إلى الطواسين مكان الإنجيل، وأعطاني ما بين الطواسين إلى الحواميم مكان الزبور، وفضلني بالحواميم والمفصل، ما قرأهن نبي قبلي،([[6]](#endnote-6))، وقال ابن عباس: إن لكل شيء لباباً، وإن لباب القرآن حم ([[7]](#endnote-7))، وقال ابن مسعود:" الحواميم ديباج القرآن"، وعنه قال:" إذا وقعت في آل حم وقعت في روضات دمثات أتأنق فيهن" ([[8]](#endnote-8)).

ومن الأحاديث الصحيحة التي رويت في فضل سورة غافر بخاصة ما رُوي عن أنَّ عمر بن الخطاب استعان بمطلعها على هداية إنسان: عن ابن أبي حاتم عن يزيد بن الأصم قال: كان رجل من أهل الشام ذو بأس، وكان يفد إلى [عمر بن الخطاب](http://library.islamweb.net/newlibrary/showalam.php?ids=2) - رضي الله عنه -، ففقده عمر فقال: ما فعل فلان ابن فلان؟ فقالوا: يا أمير المؤمنين، يتابع في هذا الشراب، قال: فدعا عمر كاتبه، فقال: اكتب: "من [عمر بن الخطاب](http://library.islamweb.net/newlibrary/showalam.php?ids=2) إلى فلان ابن فلان، سلام عليك، أما بعد، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، غافر الذنب وقابل التوب، شديد العقاب، ذي الطول، لا إله إلا هو إليه المصير" ، ثم قال لأصحابه: ادعوا الله لأخيكم أن يُقبل بقلبه، وأن يتوب الله عليه، فلما بلغ الرجل كتاب عمر جعل يقرؤه ويردده، ويقول: غافر الذنب، وقابل التوب، شديد العقاب، قد حذرني عقوبته، ووعدني أن يغفر لي.

ورواه [الحافظ أبو نعيم](http://library.islamweb.net/newlibrary/showalam.php?ids=12181)، وزاد: "فلم يزل يرددها على نفسه ، ثم بكى، ثم نزع، فأحسن النزع، فلما بلغ عمر - رضي الله عنه - خبره قال: هكذا فاصنعوا، إذا رأيتم أخاكم زلَّ زلة فسددوه، ووفقوه، وادعوا الله له أن يتوب عليه، ولا تكونوا أعوانا للشيطان([[9]](#endnote-9)).

**البعد الثاني : الشخصية، تعريفها، وأهميتها وأبعادها:**

تمثل الشخصية مكوناً مهماً من المكونات الفنية للرواية، وهي عنصر فاعل في تطور الحكي، إذ يؤدي عنصر الشخصية أدوارًا عدة في بناء القصة القرآنية وتكاملها، وطريقة عرضها للأحداث، ومن خلال مواقفها يمكن تبين المضمون الأخلاقي أو النفسي للرواية، فالكثير من أفكار الكاتب ومقاصده ورؤاه ومواقفه من القضايا المتعددة تصورها الشخصيات، فهي المسؤولة بدرجة أكبر من سائر المكونات الأخرى عن طريق عرض الأفكار والتحكم بخط سير الأحداث أو مواجهتها(. ([[10]](#endnote-10)

وتعد الشخصية" العمود الفقري في القصة القرآنية والشريان الذي ينبض به قلبها؛ لأن الشخصية تصطنع اللغة وتثبت الحوار وتلامس الخلجات، وتقوم بالأحداث ونموها وتصف ما نشاهد"([[11]](#endnote-11))، وهذه المكانة التي احتلتها الشخصية جعلت بعض النقاد ينظرون إلى القصة القرآنية على أنها تصور" تجربة إنسانية تعكس موقف كاتبها إزاء واقعه بنفس القدر الذي تفصح فيه عن مدى فهمه لجماليات الشكل الروائي، والقصة القرآنية تقول هذا وأكثر من خلال أداة فنية مميزة هي "الشخصية"، وهذا ما جعلهم يعرفونها بقولهم:"إنها فن الشخصية" ([[12]](#endnote-12)).

إن القراءة المتأنية للشخصيات في سورة غافر" تشير إلى أن من أهم مكونات هذه القصة القرآنية ومرتكزاتها الأساسية صورة الشخصية الروائية التي تتضافر مع مكونات روائية أخرى: كالفضاء، والإيقاع والامتداد والتلقي؛ لتكون عملاً قصصياً يمكن نعته بقصة "الشخصية"([[13]](#endnote-13)).

اعتمدت سورة غافر إلى حد كبير على فنية بناء الشخصيات إلى الدرجة التي يمكن أن نطلق عليها سورة "الشخصية"، إذ هيمنت شخصيات القصة القرآنية على الأحداث؛ الأمر الذي جعل من تلك الشخصيات العنصر الأقوى، إذا ما قورنت بسائر العناصر القصصية الأخرى، فالنص القرآني يركز في بناء القصة على الالتفات إلى الشخصيات؛ لتكون محورًا رئيسياً.

اقتضت طبيعة الدراسة أن تحتكم إلى منهج التحليل الفني، إذ إن رصد أساليب الخطاب القرآني في تقديم الشخصيات إلى المتلقي، والوقوف أيضا على أدوات بنائها وتصنيفها، وبيان التقنيات التي وظفت في رسم الشخصيات، وكذلك إبراز السمات والملامح والأبعاد الفنية التي اصطبغت بها؛ كل ذلك حّتم على الدراسة استخدام المنهج الوصفي التحليلي؛ لأنه أنسب الأساليب لمثل هذا النوع من الدراسات النقدية.

**أبعاد رسم الشخصية الإيجابية في سورة غافر:**

إن رسم الشخصيات القصصية وتصويرها عملية ليست هينة, لذا يلجأ الكاتب إلى وسائل وأدوات لرسم شخصياته بدقة وعناية منها تصوير الشخصية من خلال سلوكها وتصرفاتها بلمسات خفيفة في أثناء السرد والحوار والصياغة الفنية. ومن مجموع هذه اللمسات الدقيقة يتبين للمتلقي الأبعاد الأربعة لرسم الشخصية وهي([[14]](#endnote-14)):

1. **البعد الخارجي المادي**: ويراد به البعد الجسمي الجسدي, والملامح والقسمات, مثل: طول الشخصية, ولونها, وزيها, وملامح وجهها, وحركة العينين.
2. **البعد النفسي**: ويقصد به اللوحة النفسية للشخصيات أو ما يدور في أعماقها من مشاعر وانفعالات وتكشف ملامحها النفسية إن كانت قلقة متوترة, أو مطمئنة هادئة مستقرة, إيجابية متفائلة أو شريرة سالبة، متشائمة.
3. **البعد الفكري**: ويراد به الانتماء الفكري للشخصية أو عقيدتها الدينية, وهو ما يؤثر في سلوكها وتصرفاتها ورؤيتها ومواقفها من قضايا عديدة.
4. **البعد الاجتماعي**: ويعني انتماء الشخصية إلى فئة معينة أو طبقة اجتماعية, لهذا البعد صلة قوية بالقيم السائدة في المجتمع, وبصورة النظام السياسي والاقتصادي فيه.

إن هذه الأبعاد هي أساس البناء الفني لرسم الشخصية, ويرجع هذا الاهتمام إلى مدى وجود الشخصية داخل النص وتحركها تبعاَ للعلاقات التي تربطها بالشخصيات الأخرى, وتميزها عن بعضها.

يقوم رسم شخصيةٍ ما أساساً على فهم هذه الشخصية وقدرتها على أداء تصرفاتها في ظروف محددة ومعينة([[15]](#endnote-15))، والكشف عن هذه الملامح له دوره الفاعل في تحبيب هذه الشخصيات إلى المتلقين, أو تعميق أثرها في نفوسهم.

فمع وضوح الملامح والقسمات تتهيأ في النفس أرضية القبول أو الرفض, هذه الأرضية هي التي تشكل العامل الأساسي في رسم معالم هذه الشخصيات. إن تكرار ملامح الشخصيات في سورة غافر يفضي إلى انطباع معالم هذه الشخصية في ذهن المتلقي انطباعا قويا لا ينفك عنه, هذه الانطباعات تصل إلى حد تكوين صورة مكتملة المعالم والملامح عن شخصيته.

إن دراسة الملامح الإيجابية للشخصية في هذه السورة تتم من خلال تحليل هذه الشخصيات إلى عناصرها الأولية التي بناها النص القرآني، وهي: تأثير البيئة عليها، وذكاؤها، وثقافتها، وطباعها ومزاجها، وقيمها إلخ...، ثم الكشف عن تأثير هذه العناصر في سلوك هذه الشخصية من خلال دوافعها وغاياتها ووسائلها.

والقصة القرآنية معلم بارز من معالم القرآن الكريم، وتُعرَّف بأنها "كل خبر موجود بين دفتي المصحف أخبر به اللّه تعالي رسوله محمداً بحوادث الماضي، بقصد العبرة والهداية، سواء أكان ذلك بين الرسل وأقوامهم، أم بين الأمم السابقة أفراداً وجماعات"([[16]](#endnote-16)). وهي ترمي لتوضيح الحقائق، وإزالة الشبهات، وحياة الأنبياء والرسل هي محور القصص القرآني، وهم موضع القدوة والأسوة.

أما فيما يتعلق بتصنيف الشخصية، فهناك تصنيفات عدة للشخصية في القصة القرآنية: منها ما يركز على وظيفة الشخصية ودورها في النص القرآني، وعلاقتها الشكلية الخالصة بالشخصيات الأخرى، فقسمت يذلك إلى شخصيات رئيسة وشخصيات ثانوية، ومنها ما يعنى بجانب التطور والثبوت في التفكير والسلوك والأحداث، فقسمت بذلك إلى شخصيات نامية متطورة تنمو وتتطور، وشخصيات ثابتة لا تتطور ولا تتغير([[17]](#endnote-17))، ومنها ما يستند في تصنيفه إلى العقيدة الإسلامية، إذ قسمت الشخصيات إلى شخصيات إيجابية مؤمنة خيرة سوية، وأخرى شخصيات سلبية كافرة شريرة.

وتأسيسًا على ما سبق، فقد صنفت الشخصيات في سورة غافر إلى شخصيات إيجابية، وأخرى سلبية، وهذا التصنيف يعد أقرب التصنيفات لطبيعة الشخصيات في سورة غافر. فالشخصية إيجابية حسب سلوكها وتصرفاتها، ومدى توافقها مع وجودها الكبير داخل القصة القرآنية.

لم تحاول الدراسة أن تتبنى هذا التصنيف لذاته؛ وإنما عنيت بتلك الشخصيات؛ بوصفها نماذج بشرية للتأسي، والاقتداء بها إن كانت خيرة، أو التنفير منها إن كانت شريرة. فضلاً عن بناء النموذج المتكامل لأي مؤمن يحتذي به في حياته.

وستقصر الدراسة على تحليل ملامح الشخصيات الإيجابية، وسماتها بدون أن تدرس الشخصيات السلبية غير السوية، مع عدم إغفال الشخصيات السلبية عندما يحتاج الأمر إلى معالجة جوانب من الشخصية الإيجابية.

**تعريف الشخصية الإيجابية:**

هي الشخصية التي تبتعد عن السلوكيات السلبية مثل: الكذب والغيبة والنميمة، وتتميز بالصدق كالأمانة، وحب الخير للناس: كالعطاء والكرم، والانتماء لله -سبحان وتعالى-، والتطبع بأخلاق الرسل والأنبياء والصالحين: كالتسامح والعفو، وهي الشخصية الصالحة المصلِحة الخيرة ،المدرِكة ٌالمقبولة عند الرحمن - تعالى شأنه- والمحبوبة عند الانسان([[18]](#endnote-18)).

أما عن سبب اختيار سورة غافر؛ لتكون موضوعاً للتطبيق عليها؛ فلأنها تشتمل على ملامح عدد من الشخصيات الإيجابية وسماتها المتنوعة: ما بين شخصيات بشرية من أنبياء ورسل ورجال صالحين، وشخصيات غير بشرية من ملائكة كرام.

أما فيما يخص الخطة التي انتهجتها الدراسة، فهي تتكون من تمهيد تناول بعدين: أحدهما: بعنوان: في رحاب سورة غافر، قُصد فيه إلى التعريف بسورة غافر من حيث: تسميتها، ومقاصدها، وفضلها، والبعد الآخر: بعنوان: الشخصية، تعريفها، وأهميتها، وأبعادها: عُمد فيه إلى التعريف بالشخصية القصصية بعامة، والشخصية الإيجابية بخاصة.

وزعت الدراسة على خمسة مباحث هي: المبحث الأول: الملامح الإيجابية لشخصية موسى – عليه السلام - والمبحث الثاني: الملامح الإيجابية لشخصية مؤمن آل فرعون، والمبحث الثالث: الملامح الإيجابية لشخصية يوسف– عليه السلام -، والمبحث الرابع: الملامح الإيجابية لشخصية محمد – عليه الصلاة السلام –، والمبحث الخامس: الملامح الإيجابية لشخصية الملائكة الكرام.

**المبحث الأول: الشخصية الإيجابية للرسول موسى - عليه السلام -**

تعد شخصية موسى –عليه السلام- من أكثر الشخصيات وروداً وحضوراً في القصص القرآني؛ لكونها تمثل أنموذجاً ناجحاً لتجسيد الصراع المحتدم بين الخير والشر, فموسى - عليه السلام- قمة الخير, وفرعون في المقابلة ذروة الشر، وقد أخذت قصة ّ موسى حيـزاً واسعاً بين قصص القرآن الكريم، فقد ورد ذكر اسم موسى - عليه السلام- في سورة غافر الكريمة في خمس آياتٍ

إن مهمة الرسول النبي موسى- عليه السلام- لم تكن مهمة سهلة ميسرة؛ وإنما كانت مهمة شاقة وصعبة، وهي مهمة مزدوجة، إذ أرسل إلى فرعون الطاغية وملئه، وفي الوقت نفسه أرسل إلى قومه من بني إسرائيل.

**أولاً - موسى - عليه السلام - الرسول الداعية إلى فرعون وملئه:**

ترصد سورة غافر الكريمة مشاهد الحلقة الثانية والأخيرة من حلقات المواجهة والجدل والحوار بين فرعون وموسى؛ وذلك قبل الخروج الأخير لبني إسرائيل إلى الأرض المقدس، وفي هذه الحلقة يعتزم فرعون قتل موسى، ويهدده بذلك أمام الملأ، وعندها يستجير موسى السلام- بربه الركن الركين, والحصن الحصين، وحامي الدين، ومجير المستجيرين، ويفوض أمره له، ويظهر مؤمن آل فرعون ينافح عن موسى، يريد أبعاد الخطر عنه بلطف، ويثبت عقم فكرة قتل موسى؛ الأمر الذي أدى إلى نجاته من الغرق، بينما يغرق فرعون وقومه، وينجو موسى وبني إسرائيل.

تعددت ملامح شخصية موسى – عليه السلام - وتعددت قسماتها في سورة غافر, وفيما يأتي أبرز صفات شخصية موسى كما عبرت عنها النصوص القرآنية في سورة غافر الكريمة.

أرسل الله موسى – عليه السلام - نبياً ورسولاً إلى فرعون وملئه, وكانت رسالته السماوية تتلخص في الدعوة إلى الإيمان بالله رباً وإلهاً لفرعون ولقومه، ونبذ تأليه فرعون وآلهته المزعومة، وإفراد الله بالعبادة، والإيمان برسالة موسى– عليه السلام -، وأنها من الله، وكف الأذى عن بني إسرائيل باستعبادهم، وضرورة إعطائهم الحرية.

كان فرعون وقومه عند نزول كل بلاء بهم يطلبون من نبي الله موسى– عليه السلام - أن يدعو الله رب العالمين؛ ليكشف عنهم العذاب([[19]](#endnote-19))، فطلب موسى – عليه السلام - من قومه أن يصبروا على هذا الابتلاء، وعرض على فرعون أن يسمح له بالخروج ببني إسرائيل، فرفض.

ومع كل ما قدّمه موسى– عليه السلام - من دلائل على وحدانيّة الله، فقد أنكر فرعون دعوته، وازداد هو وقومه إعراضاً واستكبارًا في الأرض، فاتّهم موسى – عليه السلام - بالسحر والجنون، ولم يبق أمامه إلا التخلّص من نبي الله، وأقربُ طريق لتحقيق هذا هو قتل موسى -عليه السّلام- وتصفيته جسدياً.

وقد تجلت مظاهر الإعجاز البلاغي في التعبير القرآني الذي صوّر بدقة وعناية ملامح شخصية موسى- عليه السلام-, ورسم أبعادها وخطوطها على النحو الآتي:

يشير لفظ "لقد" ، على ارتباط أحداث قصته موسى - عليه السلام- في هذه السورة بما قبلها. إذ مهدت حلقات سابقة لهذه الحلقة, وكان ذلك التمهيد المَعْبَر الحقيقي إلى رسم ملامح شخصية موسى- عليه السلام-, وربطها بالجو العام للسورة، يقول الله تعالى: **أَوَ لَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ** (غافر:21).

تعد هذه الآيات بمثابة تمهيد مكثف لمعرفة تفاصيل ملامح شخصية موسى –عليه السلام- ؛ بوصفه النبي صاحب الرسالة السماوية النبيلة، وتعد هذه الطريقة في عرض معالم شخصية موسى - عليه السلام - من الخصائص الفنية التي تفردت بها القصة القرآنية([[20]](#endnote-20)), وهي تسهم في تحقيق عنصر التشويق إلى معرفة ملامح شخصية البطل. ويجيء تصدير النص القرآني بحرف التأكيد "لقد"؛ للاعتناء بتحقيق مضمون ما بعده مراعاة للمقام, وتحقيقاً للاهتمام([[21]](#endnote-21)).

ويجيء ابتداء الآية بلفظ "لقد أرسلنا" المقرون باللام الموطئة لجواب القسم لإفادة التحقيق،؛ لأن الخبر يساق للمتكبرين من أجل تحقيق العبرة والعظة، وهذه الصفة مع ذكر الرسل في القرآن الكريم فيها إيحاء برفيع مكانة هؤلاء الرسل، وما لهم من قدر عظيم([[22]](#endnote-22)).

ويرد إسناد الفعل (أرسل) إلى نون العظمة إلى أن مصدر الرسلات جميعاً هو الله تعالى، فالدعوة واحدة ،ومصدرها واحد، ويجيء اختيار الفعل (أرسلنا) أي: إرسال الله موسى- عليه السلام- إلى فرعون، وهامان، وقارون اختياراً دقيقاً؛ ليوحي بدلالات ومعان غنية، فقد ذكرهم الله مرتبين، فرعون الملك، وهامان الوزير، وقارون صاحب الأموال، وهم جميعاً مدار التدبير في عداوة موسى- عليه السلام- ؛ ولأنهم رءوس الشرك والكفر الذين جادلوا في رسالة موسى- عليه السلام، وكفروا به وكذبوه, وتآمروا على قتله ([[23]](#endnote-23)).

وقد وردت لفظة (آيات) على صيغة الجمع للدلالة على تعدد هذه الآيات وتنوعها, لقد أيّد الله - سبحانه وتعالى -نبيه موسى - عليه السلام- بآيات شاهدات بوحدانية الله، ومن هذه الآيات التي بلغ عددها تسع آيات هي: العصا، واليد البيضاء، والسنون العجاف، ونقص الثمرات، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، قال تعالى: **وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ** (الإسراء: 101 ).

أما إسناد مفردة (آيات) إلى ضمير الجمع (نا), فإنه يشي بالقدرة الإلهية, وتؤكد أنها صورة من تأييد الله لنبيه موسى- عليه السلام- بالمعجزات المادية, وهي آيات كونية, إضافة إلى التوراة والصحف، وكل آية من هذه الآيات تكفي لإيمان البشر بعامة إلى يوم القيامة. وفي ذكر لفظة (آياتنا) تعريض بالمشركين الذين يجادلون في هذه الآيات الواضحة التي لا يجوز الجدال فيها, فهي صادقة لا شك فيها ولا مراء.

ولم تكن مهمة الرسول الحريص على تبليغ دعوة الله هينة سهلة؛ وإنما كانت مهمة صعبة قاسية, إذ لاقى تحديات فرعون وجبروته وغطرسته, فقد أُرسل إلى أكبر طاغية متكبر في ذلك الزمان, أُرسل إلى قوم فرعون الذين هم أكثر الأمم طغياناً وجبروتاً وتكبراً, فقد كذبوا رسالته، واتهموه بالسحر والكذب. قال تعالى: **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا: سَاحِرٌ كَذَّابٌ** (غافر: 23 ، 24 ). وتتجلى دقة اختيار التعبير القرآني للألفاظ فيا يأتي:

**سُلْطَانٍ:** السلطان هنا يعني الرسالة والنبوة، وقد يقصد به البراهين والحجج الساطعة ، ومنها اليد والعصا. وقيل التوراة.

**مبينٍ:** نكرة جيء بها لتكون تفخيماً لشأن "سلطان"، وللاهتمام والتعظيم. وجاء عطف سلطان مبين على الآيات تفخيماً لشأنه.

**ساحرٌ:** فيما أظهر من معجزتي: العصا واليد، وتنكيرُ لفظ "ساحر" إشارة إلى أن هذه حرفته، مما يظهر شدة إنكارهم ورفضهم لما جاء به.

**كذّابٌ:** صيغة مبالغة، جاءت للتعظيم والتكثير، فيما ادّعى أنه رسول من عند الله .

**فَقَالُوا: سَاحِرٌ كَذَّابٌ** : تركيب فيه إيجاز حذف، والتقدير: هذا ساحر، والغرض البلاغي منه هو الإشارة إلى استخفافهم، وقلة اعتدادهم به ([[24]](#endnote-24)).

وعلى الرغم مما واجهه موسى الرسول النبي – عليه السلام - من تنكر فرعون وقومه وتكذبيه إياه، فإنه أدَّى رسالته التي كُلّف بها على أحسن صورة وأتمها, وعلى أكمل وجه وأفضله, وقام بواجبه, وصبر على ظلم فرعون وجبروته، ودعا قومه إلى الصبر والامتثال لأوامر الله .

إن الصبر على الطاعة، والصبر عن المعصية والصبر على البلاء خير ما يميز الشخصية الدعوية الإيجابية، ، ذلك أن الشخصية المؤمنة لا بد أن تتعرض لأذى بعض المخالفين، لذا يستوجب في حقه الصبر([[25]](#endnote-25)).

**ثانياً: شخصية موسى الرسول الداعية إلى قومه من بني إسرائيل.**

كانت رسالة موسى عليه السلام رسالة مزدوجة أي: أرسله الله إلى فرعون وملئه من ناحية , وإلى بني إسرائيل من ناحية أخرى, يقول المولى عز وجل: **وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ هُدًى وَذِكْرَى لِأُولِي الأَلْبَابِ (**غافر: 53 ، 54 ).

أخبر الله - عز وجل- أنه أرسل موسى – عليه السلام - إلى بني إسرائيل, وأن موسى– عليه السلام - أوتي الهدى والبيان, وأنه أورث قومه التوراة وعلمها, وكان ذلك هدى وبياناً لأمور دينهم, وتذكرة لذوي العقول الراجحة، وفي هذا بيان لنعمة الله ومنته على بني إسرائيل.

وقد آثر التعبير القرآني اختيار الألفاظ وانتقائها ؛ لما تؤديه من دلالات موحية ومعان ثرة، إذ تتجلى دقة اختيار لفظة "أورثنا" في كونها توحي بأن بني اسرائيل أخذوا الكتاب في حياة موسى، وأبقاه لهم الرسول موسى– عليه السلام - بعد وفاته، وكأن الكتاب من جملة الهدى الذي أوتيه موسى، وقد أفاد تعريف "الهدى" و"الكتاب" بأل التعريف التعظيم والتفخيم.

ومهما يكن من أمر، فإن رسالة موسى– عليه السلام - إلى فرعون تعد جزءاً من رسالته بني إسرائيل، وهي "استكمال لرسالته كرسول من عند الله, وأنه لما انتهت قصته مع فرعون اقتضى المقام الإشارة إلى رسالة موسى– عليه السلام -, وأنها رسالة إلى بني إسرائيل في عمومها"([[26]](#endnote-26)).

كان البعد العقدي بارزاً واضحاً في رسالة سيدنا موسى– عليه السلام -، إذ كان صاحب رسالة إنسانية في زمن حالك الكلمة, محفوف بالمخاطر، حيث كانت العقيدة هي القاعدة الفكرية التي بنيت عليها شخصيته.

بدت شخصية موسى- عليه السلام -متميزة بملامحها وخطوطها الواضحة، فكانت شخصية نموذجية للرسول الذي يثبت على رسالته, فلم يضره ظلم ولا ضيق, وكان مؤمناً برسالته إيما إيمان مخلصاً في أدائها إخلاصاً تاماً وعميقاً.

تميزت شخصية موسى الرسول- عليه السلام - برعاية الله وحفظه, فقد أيده الله بالمعجزات الكونية؛ لتكون أداة إقناع لأهل مصر بصحة رسالته, وأنها من عند الله.

وقد تجلت جملة من السمات والصفات في شخصية موسى – عليه السلام- يمكن رصدها على النحو الآتي:

**أ- الاستعاذة بالله، والتوكل عليه:** من معالم شخصية موسى البارزة الاستعاذة بالله والتوكل عليه، ذلك أنه حين أخفق فرعون الطاغية في ثني موسى – عليه السلام - عن رسالته السماوية توعده بالقتل، وهدده هو وأبناء الذين آمنوا معه, واتخاذ نساء المؤمنين من بني إسرائيل خادمات، من أجل إذلالهم وكفهم عن تأييد موسى – عليه السلام – ونصرته، يقول المولى: **فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاء الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلالٍ (غافر:25).**

لم يَخَفْ موسى– عليه السلام - من تهديد فرعون له بالقتل, ولم يفزع؛ لثقته بأن الله ناصره, وأن فرعون بكل جبروته لن يقدر عليه، بناء على حماية الله له، والوقوف معه، ونصرته، يقول تعالى: يَا **مُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ** ( النمل : 10)، وقوله تعالى مخاطبا موسى وأخاه هارون- عليهما السلام-:  **لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ** (طه: 46). وقوله تعالى: **قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ** ( الشورى : 63).

ومن اللمسات البلاغية في الخطاب القرآني ما يحمله فعل الأمر "ذروني" من طاقات دلالية ثرة، وإشارات غنية، فهو يصور مشهداً قصصياً فنياً اجتمعت في بنائه جملة من مكونات البناء القصصي منها: الشخصيات، شخصية فرعون، وشخصيات قومه مثل: هامان وقارون وغيرهما، والمكان مجلس من مجالس قصر فرعون بمصر، والحوار الخارجي بين فرعون وملئه، ويشي فعلا الأمر: "ذروني" و"ليدع" بالحركة والصوت واللون والتوتر، والإيقاع الموسيقي الصاخب، فضلاً عن تنوع الضمائر ما بين ضمائر: الغائب والمتكلم والمخاطب، والذي يعمق من حدة هذا التوتر.

ينفتح المشهد على فرعون الطاغية وهو يهدد ويتوعد موسى – عليه السلام - بالقتل، وهو يتفلت أمام أتباعه الذين يحاولون كفه، وثنيه، ومنعه، من ارتكاب تلك الجريمة البشعة، وتعلو نبرة صوته مهدداً، ومتوعداً، وساخراً متهكماً من موسى– عليه السلام - وربه.

ويبدو أن ما قام به فرعون اللعين لا يعدو كونه لوناً من ألوان التمويه والإيهام والخداع والمواربة، فهو لا ينوي حقيقة قتل موسى– عليه السلام -، لأنه يخاف في داخله من رب موسى– عليه السلام - أن ينتقم منه ويهلكه؛ لأنه إذا قتله أدخل على الناس شبهة تجعلهم يعتقدون أنه عجز عن معارضته بالحجة، وعدل إلى المقارعة بالسيف([[27]](#endnote-27))، فهل يعقل أن يقول حاكم طاغية مثل فرعون لحاشيته:" (اسمحوا لي أن أقتل المخالفين لي، الواقفين ضدي)؛ لأن الطاغية يفعل هذه الأفعال حتى لو خالفه أتباعه وحاشيته؛ وضعفه جاء من أنه رأى كثيراً من أتباعه، وأهمهم السحرة قد آمنوا بموسى – عليه السلام - وهو وأتباعه لم يكن له حجة إلا المكابرة والمغالطة ([[28]](#endnote-28)).

**وليدع ربه:** أن فرعون لما قال: **"وليدع ربه**"، قال ذلك على سبيل الاستهزاء بقوة الخصم والتحدي، وإظهار لعدم المبالاة بدعائه، ولكنه أوجد لنفسه مسوغات لقتل موسى، والتي مفادها الخوف من تبديل دبن قوم فرعون، ونشر الفساد في الأرض.

يعكس النظم القرآني في الآية الكريمة السابقة الصورة النفسية المضطربة ألوانها والتي كان يعانيها فرعون، إذ يعود إلى قومه ، ويبين لهم تعليل عزمة على قتل موسى- عليه السلام - بقوله: **إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الأَرْضِ الْفَسَادَ**(غافر: 26)، وقد أضفت الصورة النفسية التي رسمها التعبير القرآني السابق على النص القرآني جمالاً أخاذاً وبعداً فنياً رائعاً.

ولما تناهي إلى مسامع موسى- عليه السلام - تهديد فرعون ردَّ عليه قائلاً : **إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ** (غافر:27)، لجأ إلى الله مولاه؛ ليقيه شر فرعون وقومه وبطشهم وقوتهم وجبروتهم وتقبلهم في البلاد. والمعنى: إن الذي ذكرته يا فرعون، بطريق الاستهزاء هو الدين المبين، والحق المنير، وأنا أدعو ربي، وأطلب منه أن يدفع شرك عني، وسترى أن ربي كيف يقهرك، وكيف يسلطني عليك؟([[29]](#endnote-29) ).

يصور جواب موسى - عليه السلام - ملمحاً بارزاً من ملامح شخصية موسى- عليه السلام - التي تتمحور حول الثقة بقدرة الله ووحدانيته, وقد تحلى فيه بالحكمة والاتزان، ويلحظ المتلقي أن موسى - عليه السلام - لم يزدْ في رده على فرعون الطاغية على أن لجأ إلى الله, الركن الركين والحصن الحصين, استعاذ بما لا شك في أن الله - سبحانه وتعالى- سيعوذه, وأنه على يقين تام من ذلك.

توسل الخطاب القرآني البلاغة القرآنية في رسم ملامح شخصية موسى- عليه السلام -, وقد أبرز الإمام الرازي جوانب الإعجاز البلاغي في رد موسى - عليه السلام - على فرعون الطاغية([[30]](#endnote-30)):

**إنِّي:** :صدرت الآية الكريمة بحرف التأكيد إن للإشعار والدلالة على أن الطريق المؤكد والمفيد لدفع الضرر والشر هو طريق الاستجابة والاستعانة بالله والتوكل على عصمة الله - سبحانه وتعالى-([[31]](#endnote-31)) .

**عذت:** في هذا الفعل إشعار بأن الاستعانة بالله تصون الإنسان من كل شر ومن شياطين الجن والأنس، وتقيه من الآفات والمخالفات.

**بربي وربكم:** خُصَّ اسم الرب هنا؛ لأنه هو المطلوب وهو المربي، والركن الركين، والحصن الحصين، الذي يحمي اللائذين به، ويجير المستجيرين. وعطف كلمة "وربكم"؛ احتراساً لكي لا يظن أنه يريد فرعون بقوله " ربي"؛ لأنه رباه صغيراً؛ وليوحي بحث قوم موسى- عليه السلام - على الاقتداء به، فيعوذوا بالله مثله، ويعتصموا بالتوكل عليه([[32]](#endnote-32)).

من كل متكبر: لم يذكر فرعون مباشرة؛ وإنما ذكر وصفاً يعمه وغيره من الجبابرة، وترك التصريح بفرعون؛ ليشمل هذا الوصف فرعون وغيره من الجبابرة، على سبيل التعميم، فتكون الاستعاذة عامة، واستخدام النظم القرآني تقنية التعريض؛ لتكون أبلغ في التأثير في المتلقين([[33]](#endnote-33)).

لا يؤمن بيوم الحساب: تشي هذه العبارة بجرأة فرعون اللعين على إيذاء الناس ومبعثها أمران: أحدهما كون الإنسان متكبراً، قاسي القلب، والآخر: كونه منكراً للبعث والقيامة، وقد اتصف فرعون وأمثاله بالأمرين معا ([[34]](#endnote-34)).

**ب- التأدب مع العباد:** تتجلى جوانب من معالم شخصية موسى في رده على فرعون في تحلية بالأخلاق النبيلة, فلم يرد موسى– عليه السلام - على فرعون بمنطق المتكبر الطاغية؛ وإنما ردَّ عليه بمنطق النبي الرسول الذي رُبِّي على عين الله ورعايته, يقول تعالى: [وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي](http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/tabary/sura20-aya41.html) (طه : 41)، لقد أجاب عليه بمنطق أخلاق أهل الحق, فلسانه يترفع عن ذكر الأشخاص إلى ذكر صفاتهم التي يكونون عليها.

جاء جواب موسى– عليه السلام - بطريقة تحمل الآدب الجمّ, والتربية الربانية، إنه ما زال يحفظ لفرعون معروفه في تربيته, حينما تربي في قصره, وعاش في كنفه، يقول تعالى على لسان فرعون: **أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا\* وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ** (الشعراء: 18)، لم يُوجّه موسى– عليه السلام - إليه الردَّ مباشرة؛ وإنما جاء ردُّه على سبيل التعريض به, وهي سمة من سمات التعبير القرآني.

تعمد موسى -عليه السلام- في تعبيره القرآني أن يحمل كلامه صفة التعميم لكل متكبرٍ في كل زمان ومكان, فالمُسْتَعَاذُ منه ليس شخص فرعون فحسب؛ وإنما هو كل متكبرٍ لا يؤمن بيوم الحساب, وفي هذا الأسلوب دعوة خفية إلى الله, وإلى ضرورة الإيمان بيوم الحساب، وهنا يتجلى في هذا الجانب من معالم شخصية موسى الإيجابية البعدُ الاجتماعيّ التربويّ, فموسى الذي تربى في القصر، لا يصدر عنه إلا الردّ الذي لا ينبو عن الخلق القويم, والأدب الجمّ([[35]](#endnote-35)).

رسمت النصوص القرآنية معالم شخصية النبي الرسول موسى -عليه السلام- ببراعة ومهارة وإتقان, إذ تجلت ملامحها وصفاتها وقسماتها وخصائصها الخاصة بها، بحيث تتميز عن خصائص الشخصيات الأخرى وملامحها، ذلك "أن للألفاظ كما للعبارات ظلالاً خاصة يلحظها الحس البصير حين يوجه غليها انباهه, ويستدعي صورة مدلولاتها الحسية"([[36]](#endnote-36)) .

فملامح شخصية موسى - عليه السلام- في سورة غافر تفترق عنها في سور القرآن الأخرى، إذ إن سورة غافر تعرض حلقة من حلقات الحوار بين فرعون وموسى-عليه السلام-, ويجد المتلقي أن السورة تزيد في هذا الحوار قول فرعون : **ذروني أقتل موسى، وليدع ربه** (فاطر:26), فهذه الآية لم ترد في غير هذا الموضع.

وقد استعان الخطاب القرآني في رسم ملامح شخصية موسى -عليه السلام - بمنهج التقابل القائم على التناقض, إذ تتقابل في سورة غافر شخصيتا فرعون وموسى-عليه السلام -, حيث ترمز شخصية فرعون في إطارها العام للشر والضلال والإفساد، وشخصية فرعون تعد من أبرز الشخصيات التي تسعى لهدم شخصية موسى – عليه السلام- والقضاء عليه، في حين ترمز شخصية موسى-عليه السلام- للخير والإيمان والهدى والصلاح، وهذا التقابل بين الصورتين يتماهى مع مقاصد السورة، ومحورها العام, ويعمق من معالم الشخصية وملامحها, ويزيدها تجلياً ووضوحاً.

وفي مكنة المتلقي أن يستنتج ملامح شخصية النبي موسى- عليه السلام- وخطوطها الرئيسة من خلال أقوال فرعون وسلوكه، وردود أفعاله، فشخصية موسى -عليه السلام- من منظور فرعون هي شخصية إنسان ساحر، أي: يسحر الناس بما أظهر من المعجزات الخارقة مثل: العصا واليد، وهي –أيضاً- شخصية إنسان كذَّاب فيما ادعاه من الرسالة والنبوة، وأنه إنسان محط سخرية واستهزاء وتهكم من الآخرين، يقول تعالى: **وَلْيَدْعُ رَبَّهُ** (غافر:26)، ويستمر فرعون الطاغية في السخرية والاستهزاء من موسى -عليه السلام- أمام الملأ من قومه، قال تعالى: **قَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا** (غافر:36 ، 37).

وفي إطار إبراز حجج فرعون الباطلة غير المقنعة لقتل موسى- عليه السلام- فإنه يأخذ في اتهامه بشتى التهم الفاسدة، إنه يتهمه بأنه يسعى؛ لتغيير الدين الذي يُعْبَد بموجبه فرعون على أساس إنه رب قومه الأعلى، وأن هدف موسى- عليه السلام- هو نشر الفساد في الأرض، وإثارة الفتن والقلاقل في ربوع البلاد، يقول تعالى على لسان الطاغية فرعون: **إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ\* أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الأَرْضِ الْفَسَادَ** (غافر:7 9).

هذه هي الصورة التي رسمها فرعون لمعالم شخصية موسى- عليه السلام- إنها صورة زائفة غير حقيقة، وغير صادقة، منبعها الأساسي الحقد والكيد والتكبر والمكر الخبيث، فكان عاقبة هذا التدبير والمكر هلاك فرعون وملئه وخسرانهم في الدنيا والآخرة، يقول تعالى: **وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلاَّ فِي تَبَابٍ** (غافر:36 ، 37).

ومن خلال تحليل شخصية موسى- عليه السلام- تحليلاً أدبياً وفق البعد النفسي يتبين للمتلقي أن هذه الشخصية تجمع المزيد من التقابلات, ففي الوقت الذي تميزت به شخصية موسى- عليه السلام- بسرعة الغضب والعصبية والاندفاع والانفعال، فإنه تلقي تهديد فرعون له بالقتل بنفسٍ مطمئنة هادئة, وقلب جريء, وردَّ عليه بحكمة بالغة, وتوكلٍ على الله, وثقةٍ في مساندة المولى له، وهذا يشي بإيمانه العميق برسالته السماوية.

وتثير شخصية موسى -عليه السلام- في سورة غافر قضية تكرار القصص في القرآن الكريم، فمن المعلوم أن ملامح شخصيته قد تكررت في غير سورة من سور القرآن الكريم, وقد جاء هذا التكرار؛ لخدمة أغراض دلالية وجمالية, فالقرآن الكريم يحرص على نقل معالم هذه الشخصية وأمثالها, بأساليب متباينة؛ حتى يتميز بطابعه الفريد, وصورته الباهرة. وهذا وجه من وجوه التحدي و الإعجاز فيه ([[37]](#endnote-37)).

تبين مما سبق أن شخصية موسى- عليه السلام-الرسول النبي اتسمت بسمات يمكن وصفها بأنها مفاتيح للولوج إلى عمق مدلول شخصية نموذجية على الصعيد الفني الأدبي.

**المبحث الثاني: ملامح شخصية مؤمن آل فرعون:**

قبل الكشف عن ملامح شخصية مؤمن آل فرعون الإيجابية يجدر بالدراسة بيان البواعث التي أدت إلى ظهور هذه الشخصية على مسرح الأحداث في قصة موسى– عليه السلام- مع فرعون؛ ذلك أنه بعد ما حدث في يوم الزينة من المعجزة، وإيمان السحرة برب موسی– عليه السلام- وهارون، اجتمع الملأ في قصر فرعون، وارتقی الأخير عرشه، وهو يفور غضباً مما حدث، فصرخ بأعلى صوته: **ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ** (غافر: 26).

كادت فكرة فرعون أن تحصل على التصديق لولا أن رجلاً من رجال الدولة الكبار من آل فرعون، تحدث في الاجتماع الذي طُرحت فيه فكرة قتل موسى– عليه السلام- ، وأثبت عقم الفكرة وسطحيتها، ودافع عن رسالة النبي موسى – عليه السلام-، دون أن يشعر القوم بكونه من أصحابه؛ لأنه استخدم أسلوباً أظهر من خلاله الحيدة والموضوعية، فلم يشك أحد في إيمانه بموسى– عليه السلام- ورسالته، وقال: إن موسى – عليه السلام- لم يقُل أكثر من أنَّ الله ربه، وجاء بعد ذلك بالأدلة الواضحة على كونه نبياً مرسلاً.

وعليه، يمكن رصد معالم شخصية مؤمن آل فرعون من النصوص القرآنية التي لم يرد ذكر لها إلا في سورة غافر، يقول الله تعالى: **وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ، وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ**  (غافر: 28).

تجلت في الآية الكريمة السابقة بعض ملامح شخصية الرجل المؤمن من آل فرعون وسماته الإيجابية، ويتمثل ذلك في أربعة معالم محورية هي:

**"رجل":** جاءت مفردة نكرة للتعظيم والتشويق والتنبيه, فهو رجل مكتمل الرجولة والشجاعة, ولمَّا كان الأسلوب القرآني في قصص سورة غافر أسلوباً واقعياً, فإنه لم يركز على الاسم والملامح الجسمية؛ وإنما جاء التركيز على المواقف والسير والحدث؛ لأن الذي يهم هو العبرة والاقتداء.

ويجد المتلقي في القرآن الكريم عدداً من الشخصيات التي استبدلت في سيرتهم الصفاتُ بالأسماء الحقيقية؛ لأن ذكر الأسماء يعد زيادة لا قيمة لها في البناء القصصي أو الغاية المقصودة ([[38]](#endnote-38)).

وتشير بعض الروايات إلى أن مؤمن آل فرعون هو نفسه الرجل الذي عمل على حماية رسول الله موسى-عليه السلام- والحفاظ على حياته، حين نصح موسى - عليه السلام- بمغادرة المدينة, والخروج من مصر عندما اتخذ فرعون وقومه بتصفيته الجسدية ([[39]](#endnote-39))، يقول المولى: **وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنَ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ** (القصص : 20).

لقد حمل إيمان هذا الداعية وحبه لموسى – عليه السلام - وحرصه عليه أن يسلك طريقاً أقرب من الطريق الذي سلكه أتباع فرعون في طلبهم موسى- عليه السلام-, ولذلك سبقهم إليه، فوصفه الله -عز وجل- بالرجولية ثناءً عليه, ومدحاً لحرصه واجتهاده ([[40]](#endnote-40)).

**مؤمن:** إذ شهد له المولى – عز وجل- بالإيمان, وهي شهادة لها قيمة وشرف كبير؛ ذلك أن إيمانه العميق هو الذي جعل منه شخصية إيجابية.

**من آل فرعون:** اختلف المفسرون في اسم هذا الرجل, وذهبوا في ذلك مذاهب ما بين: (حبيب, زحبيس, حوتكه, خبرك, حزقيل, سمعان) ([[41]](#endnote-41))، وتشير الروايات إلى أنه ابن عم فرعون، أو ابن خاله, وكانت له مكانة في بلاط فرعون، وكان عضداً لفرعون، وولياً لعهده([[42]](#endnote-42)).

**يكتم إيمانه:** أي: يتكتم على إيمانه بموسى - عليه السلام-ورسالته، إنه يتصف بخصيصة سرية الإيمان وكتمانه، إذ إن و"كتمان الإيمان هنا، ليس عن ضعف أو خوف، حتى يحمل إيمانه على أنه كان مجرد إعجاب بموسى، وميل إلى الطريق الذي هو عليه، فإن إيمان هذا المؤمن كان إيماناً راسخاً وثيقاً، قائماً على اقتناع بلغ مبلغ اليقين القاطع، وإنما كان كتمان هذا الإيمان عن سياسة حكيمة، وتدبير محكم.. فالرجل لم يكن يريد الإيمان لنفسه وحسب، بل إنه كان يريد أن يكون داعية لفرعون وقومه جميعاً إلى الإيمان بالله.. ولو أنه أعلن إيمانه، وجاء إلى فرعون يدعوه إلى أن يؤمن كما آمن هو، لما استمع فرعون إلى كلمة منه، ولأخذته العزّة بالإثم، وأبى عليه كبره وعناده، أن ينقاد لداعية يدعوه إلى أي أمر، ولو فتح له أبواب السماء "([[43]](#endnote-43)).

وهكذا مثَّل مؤمن آل فرعون نموذجاً للمؤمن أمام الطاغية وطغيانه، ومثالاً يحتذى للداعية أمام المكذبين أعداء الدين، وإن اختلف الزمان, وتبدل المكان([[44]](#endnote-44) ).

فقد رُويَ عن النبي الأكرم– عليه الصلاة والسلام- قوله: "الصديقون ثلاثة: حبيب النجار مؤمن آل يس الذي قال: (يا قوم اتبعوا المرسلين). وحزقيل مؤمن آل فرعون الذي قال: أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله"، وعلي ابن أبي طالب"([[45]](#endnote-45)).

ومن أوصاف البعد الفكري العقدي عند هذا المؤمن، الجرأةُ في قول الحق، والشجاعةُ في التعبير عما يراه صواباً, والدفاع عن الأنبياء والرسل، ويتضح ذلك في قوله تعالى : **أَتَقْتُلُونَ رَجُلا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ وَإِن يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ** (فاطر:28).

فهو نموذج المؤمن الشجاع أمام الطاغية وجبروته, إن غضبته لله تعالى قوية, وذلك حين سمع فرعون يقول مهدداً: **"ذروني أقتل موسى"**, وهذه الغضبة قاعدة عقدية لقوله - صلى الله عليه وآله وسلم- : عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه- قال:": أَفْضَلُ الْجِهَادِ كَلِمَةُ عَدْلٍ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ أَوْ أَمِيرٍ جَائِرٍ" ([[46]](#endnote-46))، وقد جاءت كلمته رداً على أعتى طاغية في التاريخ, ووردت بصورة مبطنة غير مباشرة.

لقد جاءت كلمة مؤمن آل فرعون إيقاظاً لضمائر القوم, واستثارةً لعقولهم؛ ليعودوا إلى رشدهم بعد غلبة العمى على بصائرهم وتحذيرهم من بأس الله سبحانه وتعالى، وقد أفاد الصحابة من موقف مؤمن آل فرعون في الدفاع عن موسى- عليه السلام-؛ لينافح أبو بكر الصديق – رضي الله عنه- عن الرسول تغليب المصلحة العامة على المصلحة الذاتية. [وقد رَوَى البخاري عن عروة بن الزبير"](http://library.islamweb.net/newlibrary/showalam.php?ids=16561) قال سألت [ابن عمرو بن العاص:](http://library.islamweb.net/newlibrary/showalam.php?ids=13) [أخبرني بأشد شيء صنعه المشركون بالنبي صلى الله عليه وسلم؟ قال: بينا النبي - صلى الله عليه وسلم- يصلي في حجر الكعبة، إذ أقبل عقبة بن أبي معيط، فوضع ثوبه في عنقه، فخنقه خنقاً شديداً، فأقبل أبو بكر حتى أخذ بمنكبه، ودفعه عن النبي- صلى الله عليه وسلم- قال: أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله"](http://library.islamweb.net/newlibrary/display_book.php?flag=1&bk_no=52&ID=7005#docu) ([[47]](#endnote-47) ).

وقد تجلت براعة التعبير القرآني في استخدامه للأساليب البلاغية المعبرة، فأسلوب الاستفهام الإنكاري التعجبي الذي جاء على لسان مؤمن آل فرعون في قوله تعالى**: أَتَقْتُلُونَ رَجُلا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ**  (غافر: 28)، يوحي بالإنكار على فرعون وقومه لعزمه على قتل موسى- عليه السلام-، وفيه تبكيت لهم، حيث قصدوا قتل رجل كل ذنبه أنه قال: إن الله ربه، وقد جاءهم بالمعجزات الواضحات الدالة على صحة قوله وفعله.

واستخدام أسلوب الاستفهام الإنكاري يعد نوعاً من أنواع علم البيان يسمى "استدراج المخاطب"، فقد أراد مؤمن آل فرعون الانتصار لموسى - عليه السلام- بطريق خفي عليهم أنه متعصب لهم، وأنه من أتباعهم، فجاءهم بطريق النصح والملاطفة([[48]](#endnote-48)).

وقد آثر التعبير القرآني في هذه الآية الكريمة كلمة (رجلاً) التي جاءت نكرة؛ لتفيد أن مؤمن آل فرعون أحس بالخوف على موسى- عليه السلام-، فأخفى ذلك في نفسه، ولم يعلنه، إذ إنه لو أعلن اسمه؛ لأدى ذلك إلى أن يخلق الأذى لنفسه.

ومن السمات الإيجابية لشخصية مؤمن آل فرعون، تغليبُ مصلحة الجماعة على مصلحته الفردية, ونبذ الأنانية، وحب الذات، ذلك إن أهم ما تتميز به الشخصية الإيجابية أنها ليست أنانية، يقول الله تعالى: **يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِن بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا ...\*** **وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ الأَحْزَابِ ... وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ**( غافر: 30 ، 32 )، **يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ** ( غافر: 38).

ومؤمن آل فرعون من أولئك الرجال الصالحين، الذين كانت لهم سيرة طيبة حسنة، وساروا في طريق الأنبياء والمرسلين، وصبروا على ما أوذوا في سبيل نصرة الحق، وإيراد قصصهم ليكونوا قدوة لمن يسير في هذا الطريق، وأن يثبتوا على الطريق مهما اعترضهم من متاعب.

إن الشخصية الإيجابية هي التي تحرص على مصلحة الجماعة لا مصلحتها الفردية، وهنا يجد المتلقي مؤمن آل فرعون قد أخذ يحذر بني قومه الآخرين، فلم يكن أنانياً، وينجو بنفسه، فالداعية الإيجابي ليس أنانياً، ويدرك العقلاء من قومه تلك الصفة الطيبة فيه، فيلتفون من حوله، ويُقبلون على اتِّباع نصائحه. لذا يتعين على الداعية المصلح ألا يفكر بأنانية وحرص على نفعه الخاص، إذا تعارض مع مصلحة مجموع الأمة ونفعها.

ومن أبرز سمات شخصية مؤمن آل فرعون الإيجابية، التلطفُ في الخطاب, والترقيقُ في الوعظ. والتي تتمثل في إلانة جماح قومه, وكسر سورتهم, فنوه بمكانتهم، وعلو شأنهم، فردد غير مرة عبارته منادياً متلطفاً "يا قوم", محاولة منه للإفادة من كل المثيرات النفسية؛ لكسب مشاعر قومه الذين يخاطبهم, واستمالة قلوبهم, مع عدم قطع الصلة بين الأنبياء وأقوامهم ([[49]](#endnote-49)).

ولعل من ملامح شخصية مؤمن آل فرعون البارزة كذلك، الإيمانَ العميق برسالة موسى- عليه السلام- ورفض الكفر والطغيان, إذ كان عميق الإيمان بالله وبرسالة موسى– عليه السلام -، محباً للمؤمنين, حريصاً عليهم, ينصحهم، ويخوفهم جبروت الله، وقد أعلن رفضه للكفر والطغيان، وعلا صوت الحق على لسانه، وعلا صوت العقيدة في وعظه([[50]](#endnote-50)).

كان هذا الداعية جريئاً في الإفصاح عن الإيمان, موظفاً منهج التقابل والتضاد بين الإيمان و الكفر, بين الخير والشر، دعا إلى ترك ملذات الدنيا ومباهجها الزائلة؛ للفوز بالجنة، ودعا إلى التقرب من العزيز الغفار لنيل العزة والكرامة.

ويستمر هذا "الداعية المؤمن" في استكمال عظته البليغة مؤكداً أهمية الإيجابية في حياة المسلم، معلناً أن السلبية صفة مذمومة لا ينبغي أن تكون من صفات المسلم.

ومن سمات شخصية مؤمن آل فرعون وفقاً للبعد العقلي الفكري، الحكمةُ والاتزانً والموعظةُ الحسنة، فقد استخدم في حواره ودفاعه عن موسى– عليه السلام - الحكمة, والمنطق الرزين والتوسع في الإقناع والتدرج فيه, ولين المنطق, وإبداء الخوف على المستمعين, والتضامن معهم؛ لتشعرهم بالحيدة والموضوعية, وأنه معهم, وليس مع موسى – عليه السلام -.

ومن معالم شخصية هذا المؤمن وصفاته- أيضاً- استخدامهُ لطريقة "الحوار العقلاني"؛ لإقناع بني قومه من آل فرعون، فالحوار أدب رباني علمه المولى لأنبيائه ورسله، والحوار هو جزء مهم من الأسلوب التعبيري في القصة، وهو صفة من الصفات العقلية التي لا تنفصل عن الشخصية بوجه من الوجوه؛ ولهذا كان من أهم الوسائل التي يعتمدها الكاتب في رسم الشخصيات، ونظراً لأهمية الحوار، فإنه يهدف إلى ما يسود بين الشخصيات من صراع أو اتفاق، وإلى البوح بالعواطف ومشاعر الشخصيات([[51]](#endnote-51)).

من يمعن النظر في موقف مُّؤْمِنٌ آلِ فِرْعَوْنَ، يكتشف أن من أبرز سمات شخصيته، الحكمةُ والحذقُ التي تتجلى بوضوح من خلال أسلوب الحوار الذي اتبعه مع قومه، قال تعالى على لسان مُّؤْمِنٌ آلِ فِرْعَوْنَ: **أَتَقْتُلُونَ رَجُلا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ وَإِن يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ِ** (غافر:44).

القارئ لمواقف الرجل المؤمن يتبين أنه كان حاذقاً في أسلوبه، حيث بدأ بافتراض الكذب قبل الصدق، ثم قال: (يصبكم)، ولم يقل يصبنا، ثم عقب على هذا بأن الله لا يهدي المسرفين المكذبين، فإن كان موسى - عليه السلام- منهم فلن يهدى إلى الخير، ثم قال: يا قومُ بهذا التلطف، ثم قال: (لكم) ولم يقل لنا، ولكنه قال بعد ذلك: (فمن ينصرنا من بأس الله)، ولم يقل ينصركم، وهكذا نجده حاذقا في أسلوبه حيث لا يستطيع أحد أن يشتم منه رائحة الإيمان، وهو درس جيد تدعو إليه الضرورة في كثير من الأوقات ([[52]](#endnote-52)).

ومن خصائص شخصية مؤمن آل فرعون، التوكلُ على الله، وتفويض الأمر له. فالتوكلُ على الله مقام عظيم من مقامات الإيمان، ينبع عنده من صدق اليقين, وعمق الإيمان والثقة في أن نصر الله حقيقة لا شك فيه. والتوكل على الله والُّلواذ بحمايته ونصره هما سبب نجاة هذا المؤمن من عذاب الله, يقول الله تعالى : **فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ** (غافر:44).

ويلمس المتلقي تقابلاً بي شخصيتي فرعون، ومؤمن آل فرعون ، ففي حين إن شخصية فرعون الطاغية تتصف بالتجبر والقتل والغطرسة والاستعلاء، وحبه لسفك الدماء، ومعارضة الرسل والأنبياء، وسلوك طرق المراوغة والمخاتلة، فهو طاغية جبار، لا يصده عن إيقاع الأذى بمن أراد صادٌ، ولا يعوقه عن البطش به عائق، فإن مؤمن آل فرعون كان يتميز بإيمانه العميق بالإله الأعلى، وهو الله -عز وجل - وإيمانه برسالة موسى، وامتلاء قلبه حباً له، ويتمتع برجاحة العقل، وقوة الحجة، ومناصرة الحق، ونبذ الكفر وأهله ومبادئه. فهو لم يلتف لمراوغة فرعون ومكره ولا سيما قوله الذي يشي بالاستعلاء والتكبر**، مَا أُرِيكُمْ إِلاَّ مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلاَّ سَبِيلَ الرَّشَادِ**(غافر: 29).

واستمر الداعية المؤمن في تحذير قومه ودعوتهم إلى الحق والإيمان بالله برغم موقف فرعون المعادي والرافض لدعوة موسى – عليه السلام - ورسالته الربانية: **وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا**  (غافر:44).

ومن معالم شخصية مؤمن آل فرعون وسماتها، الصدقُ والصراحةُ، ويتضح ذلك جلياً من مواقفه من القضية التي آمن بها، ونصحه لقومه، وحرصه على هدايتهم، وسلوك الطريق الأمثل في الحوار معهم، فلم يجاملهم أو يداهنهم، إنما كشف عن الحقيقة كما فهمها، بكل صراحة ووضوح، فحين أحسَّ أن قومه لا يستجيبون لدعوته إلى الإيمان بموسى - عليه السلام- ورسالته سلك أسلوباً من أساليب الدعوة القائمة على الموازنة والتقابل والتضاد بين موقفين: موقفه، وموقف قومه.

فبعد أن استنكر موقفهم من دعوته، أخذ ينصحهم ويحذرهم؛ بدافع حبه لهم، وخوفه على هلاكهم، محاولاً إنقاذهم من الهلاك بالتحذير والإنذار المستمر، قائلاً لهم: كيف أدعوكم إلى الإيمان بالله واتباع رسوله موسى- عليه السلام-، وهي دعوة تنتهي بكم إلى الجنة، والبعد عن أهوال النار، وأنتم تدعونني إلى عمل يؤدي إلى عذاب الله وعقوبته في النار؟! وكيف أدعوكم إلى العزة والمغفرة من العزيز الغفار، وأنتم مصرون على التمادي في الكفر والشرك عن جهل وزيف وبطلان؟!

ويظهر جمال التعبير القرآني في حديث مؤمن آل فرعون مع قومه جلياً وواضحاً ، إذ يلتقي القارئ في هذه الآيات الكريمة ألواناً من التصوير الفني، منها الطباقُ الأخاذ الذي يرمي إلى الكشف عن المعنى، وإتمام الغرض المقصود. يقول الله تعالى على لسان مؤمن آل فرعون: **يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ**... **وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّار (غافر : 39 – 42 ).**

فعبارة " الحياة الدنيا" تقابلها عبارة "الحياة الآخرة"، وكلمة "النجاة" تطابقها كلمة "النار"، ولفظة "الشرك" تطابقها لفظة "الإيمان" بالله العزيز الغفار، فالألفاظ والعبارات كلها تخدم المعنى المطلوب، فهو طباق رائع المعنى، جميل العبارة، تنفتح له النفس، ويسر له الوجدان.

ويلحظ المتلقي أن سرَّ جمال التعبير القرآني في هذه النصوص القرآنية يكمن في أنَّ الله -تبارك وتعالى- عبَّر بتكرار أسلوب النداء "يا قوم"؛ لزيادة التنبيه عليهم، وإيقاظاً لهم عن سنة الغفلة، وجاء ذكر عبارة "قوم"؛ لتشعر المتلقي بأن المخاطبين هم قومه وعشيرته، ونصيحتُهمْ عليه واجبة، فهو يتحزن لهم، ويتلطف بهم، ويستدعي بذلك أن لا يتهموه، فإن سرورهم سروره، وغمهم غمه، وعليهم أن ينزلوا على نصيحته لهم، إنه يفكر في مصلحتهم، ويعيش لهم، ويعمل من أجلهم. ويعد هذا الأسلوب من أعظم الأساليب وأبلغها؛ لكونه يمتلك على المتلقي لبَّه، ويجلب قلبَه، ويجذب انتباهه، فيتابع سيره في قراءتها، مأخوذاً بما فيها من سحر وبساطة وعذوبة، وما لديها من حلاوة التشويق.

أما قوله تعالى: **ما لي أدعوكم**، فأسلوب استفهام يفيد التعجب والإنكار، إنه يحمل دلالة التوبيخ لهم، إنه كلام إنكاري يعبر عن شعور إنسان آيسٍ من استجابتهم.

ويشير قوله تعالى:" العزيز الغفار" إلى عدول التعبير القرآني عن ذكر اسم الجلالة إلى الصفتين: " العزيز"، و"الغفار"؛ لأنهما لفظان يحملان طاقات دلالية واسعة، وفيهما تعريض بأولئك الذين يصرون على الكفر، يقول الإمام الالوسي: خُصَّ هذان الوصفان بالذكر، وإن كانت كناية عن جميع الصفات... لما فيهما من الدلالة على الخوف والرجاء المناسب لحاله وحالهم( ([[53]](#endnote-53).

ومن جمال التعبير في الآية السابقة، بلاغةً الفواصل القرآنية وتناسبها مع معاني الآيات الكريمة مثل:" القرار، النار، الغفار، النار" .

تعد شخصية مؤمن آل فرعون من الشخصيات التي ساهمت مساهمة فاعلة في صنع الأحداث برغم الصعوبات التي واجهتها؛ لذا فقد كانت مثالاً صادقاً للبطل الإيجابي الفاعل الذي" يتميز بقدرته على صنع الأحداث، والمشاركة في تطورها، واغتنام الفرص؛ لكي يساهم في تشكيل حركة الحياة، والتأثير فيمن حوله من الشخصيات، واتخاذ مواقف إيجابية في انفعالاته ومشاعره ومواقفه من الآخرين([[54]](#endnote-54)( .

ونظرة فاحصة إلى ملامح شخصية مؤمن آل فرعون، تكشف أن ثمة توازناً حقيقاً قائماً بين كل من البعد العقدي الفكري، والبعد النفسي، والبعد الاجتماعي عند هذا المؤمن, وقد انعكس هذا التوازن في منهج دعوته, وفي أدواته. فكان ثمرةُ هذا التوازن خًلْقَ شخصية إسلامية صديقة للأنبياء والرسل حين التزم قاعدة ارتكاز بنائهم, وغدا مؤمن آل فرعون نموذجاً يقتدى للدعاة في منهج بناء الإنسان في الإسلام( [[55]](#endnote-55)).

**المبحث الثالث: ملامح شخصية يوسف -عليه السلام -.**

تجلت ملامح شخصية يوسف - عليه السلام – على لسان مؤمن آل فرعون الذي استدعى تاريخ الرسل والأنبياء السابقين؛ بوصفها وسيلة من وسائل الدعوة؛ ليحذر الطاغية المتجبر فرعون والملأ من قومه من سوء العاقبة، إذا هم استمروا في تكذيب موسى-عليه السلام- ورسالته، والتشكيك بما جاء به من عند الله، وذلك حين أدرك قلة جدوى نصحه لهم, وأنهم مصممون على تكذيب موسى, أراد أن يلومهم بأن يذكرهم بصنيع أسلافهم بيوسف -عليه السلام- في الشك والارتياب به وبرسالته وبالبراهين البينات التي جاء بها، وسخروا مما جاء به من آيات([[56]](#endnote-56)).

ويخشى الداعية أن يتكرر الأمر مع موسى-عليه السلام-، وكأن موسى-عليه السلام- هو يوسف-عليه السلام-، وكأنهم هم الذين جاءهم يوسف، وكأن الزمان والحال والموقف لم يتغير أو يتبدل، فكذبوا يوسف-عليه السلام- ، وسخروا منه، ولم يؤمنوا بأنه رسول من عند الله، وهكذا يتبين أن نزعة تكذيب الأنبياء, والتشكيك في نبوتهم ورسالاتهم هي نزعة متأصلة في نفوسهم([[57]](#endnote-57)).

والنبي الداعية يوسف -عليه السلام- هو يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم - عليهم السلام- , كان نبياً ورسولاً, يقول الله تعالى على لسان مؤمن آل فرعون: **وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَاءَكُم بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ اللَّهُ مِن بَعْدِهِ رَسُولا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ**( غافر: 34) . يتضح من الآيات الكريمة السابقة بعضاً من ملامح شخصية سيدنا يوسف -عليه السلام- على النحو الآتي:

بينت الآيات أن سيدنا يوسف-عليه السلام- صاحب رسالة سماوية, وقد انفردت سورة غافر بذكر هذه الحقيقة، إذ لم يذكر هذا الأمر في أي سورة من سور القرآن الكريم حتي في سورة يوسف, وإنما كل ما ورد في تلك السور لا يعدو كونه إشارات وومضات تومئ إلى توحيد الله وإفراده بالعبادة, وذلك في قوله تعالى: **ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَن نُّشْرِكَ بِاللَّهِ مِن شَيْءٍ ذَلِكَ مِن فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَشْكُرُونَ** (يوسف:37 ،83 ).

وقوله تعالى: **رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ، وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ، فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، تَوَفَّنِي مُسْلِمًا، وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ**( يوسف: 110) .

وقد أيد الله يوسف-عليه السلام- بالآيات البينات, والدلائل الواضحات؛ لتكون شاهداً على صدق رسالته ونبوته, وقد اعترف سيدنا يوسف بهذا الفضل, وتلك المنة من الله مثل تأويل الأحاديث, والعلم, والحكمة, ورجاحة العقل. يقول الله تعالى: **وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**(يوسف:6).

ومن أمثلة ملامح شخصية الرسول يوسف – عليه السلام- ما جاء متصلاً بالبعد الفكري، سمةُ الصبر، أي: صبر يوسف -عليه السلام- على قومه, فلقد واجه من التحديات والمعارضات الكثير، ومنها التشكيك في رسالته, وتكذيبه, واتهامه بأنه ليس نبياً ولا رسولاً, والكفر بمن جاء بعده من الرسل. ولكن يوسف -عليه السلام-؛ بوصفه نبياً ورسولاً قابل التشكيك في رسالته, وتكذيب قومه له بالصبر والجلد، واستمر في دعوته إلى عبادة الله, وإفراده بالتوحيد, ونبذ غيره من الآلهة، على الرغم من المعجزات الظاهرات التي جاءهم بها من عند الله.([[58]](#endnote-58)).

**المبحث الرابع: شخصية محمد - عليه الصلاة والسلام-.**

المتأمل في سورة غافر، يتبين له أن ذكر الرسول محمد- صلى الله عليه وآله وسلم – لم يرد مباشرة؛ وإنما وردت في السورة نصائح وتوجيهات للرسول الكريم؛ لتعينه في الدعوة إلى الله, وكان الرسول- عليه الصلاة والسلام- يستمع إلى هذه النصائح والتوجيهات, ويتمثلها في سلوكه, ويتحلى بها في موافقه، ومن هذه السمات والصفات الإيجابية، الزهدُ في متاع الحياة الدنيا، يقول الله تعالى: **مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلاَّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَلا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلادِ** (غافر: 44).

الخطاب القرآني في الآية الكريمة السابقة موجه إلى الرسول- عليه الصلاة والسلام- والمعنى, لا يغرنك ولا يحزنك يا محمد، كونُ أولئك الذين ينتقلون في البلاد، هم من أصحاب الأموال والتجارات الرابحة والمراكز الاجتماعية, إنهم فئة معينة ومحدودة ومتميزة، وأن إقبالهم على الدنيا هو الذي صرفهم عن الحق, والإذعان له، وهذا الإقبال على الدنيا هو الذي دفعهم إلى المجادلة في صحة نسبة القرآن الكريم إلى الله - سبحانه تعالى-، إنَّ تمتع هذه الفئة بمباهج الدنيا, وحيازتهم لأسبابها, وأسباب التمتع بها، لن يعصمهم من سوء المنقلب والعاقبة([[59]](#endnote-59)).

وتشير الروايات إلى أن الرسول الكريم هو إمام الزاهدين, ورأس العابدين، إذ كان زاهداً في الدنيا, وكان أقل المسلمين رغبة فيها, وكان مكتفياً منها بالبلاغ, فقد رُوى عن عبد الله بن مسعود أنه قال: "نام رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم – على حصيرٍ، فقام وقد أثَّر في جنبه، قلنا: يا رسول الله، لو اتخذنا لك وِطاءً؟ فقال: ما لي وللدنيا؟ ما أنا في الدنيا إلا كراكبٍ استظلَّ تحت شجرة، ثم راح وتركها"([[60]](#endnote-60)). وفي هذا الحديث ما يدل على تواضعه - صلى الله عليه وسلم - وعلى زهده، وتقلله من الدنيا، وتقشفه فيها.

ولعل من أبرز ملامح شخصية الرسول محمد- عليه الصلاة والسلام-، الإخلاصُ في العبادة، إذ كان مخلصاً في العبادة لله, بعيداً عن عبادة غيره من أصنام وأوثان وحجارة. يقول الله تعالى في سورة غافر: **قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ مِن رَّبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ** (غافر: 66).

جاءت الآيات الواضحات من عند الله تؤكد له وحدانية الله، وتفرده بالعبادة، فالعبادة لا تليق إلا به, ذلك أنَّ جَعْلَ الحجارة المنحوتة, والأخشاب المصورة شركاء لله في العبودية، وهو أمر مستنكر في بديهة العقل([[61]](#endnote-61))، ذلك أن من أبرز سمات الشخصية الإيجابية العبادةَ لله – سبحانه وتعالى–، أنها تمثل تيار الخير في مواجهة تيارات الشر التي تعج بها الحياة، وقد أمر الرسول - عليه الصلاة والسلام- أن يسلم أمره لرب العالمين، وكان في مواقفه وتصرفاته خاضعاً لله وحده, ومخلصاً له دينه, مطهراً نفسه من عبادة غير الله.

ومن معالم شخصية محمد الرسول - عليه الصلاة والسلام- الصبرُ الذي يعد ملمحاً أساسياً من الملامح العامة لشخصية الأنبياء والرسل. وقد جاء الأمر بالصبر في سورة غافر مرتين؛ لما للصبر من قيمة خلقية عظيمة في حياة الرسول -عليه الصلاة والسلام-.

يقول تعالى: **فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَار،**(غافر: 55)

ويقول المولى -عز وجل- في موضع آخر من السورة: **فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ** (غافر: 77).

يربط المولى الصبر في المرة الأولى بالمحور الرئيسي للسورة, ويدعو سيدنا محمداً -عليه الصلاة والسلام- إلى أن يصبر كما صبر موسى-عليه السلام- على أذى فرعون وملئه, فنصره الله, وهنا جاء الصبر تشجيعاً وتسلية للرسول -صلى الله عليه وآله وسلم- وتسريه له, وتثبيتاً لقلبه([[62]](#endnote-62)).

وفي الصورة الثانية جاءت الدعوة إلى الصبر الشاق على أشواق النفس البشرية, وعليه لم تأت الصورة الثانية تكراراً للأمر الذي جاء في الصورة الأولى, إنه توجيه إلى صبر من لون جديد, ربما كان أشق من الصبر على الإيذاء والكبر والتكذيب"([[63]](#endnote-63)).

لقد كان صبر محمد -عليه الصلاة والسلام- مرتبطاً بالاستغفار والتسبيح؛ لأنها جميعاً من عوامل نصر الله لأنبيائه ورسله، ومن متممات النصر وأدواته, وهي مجتمعة دليل على الكرامة والرحمة, وزاد للرسول -عليه الصلاة و السلام- في دعوته إلى الله, وفي تنزيهه وتمجيده.

ومن ملامح شخصية الرسول محمد دعوة المولى له الاستعاذة، بالله من مكر الكافرين المجادلين، يقول الله تعالى: **إِنَّ الَّذِينَ** يُجَادِلُونَ **فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلاَّ كِبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ،** (غافر: 56 ) .

يقول المولى- عز وجل- ناصحاً الرسول الكريم، يا محمد: اعتصم، واستعذ بالله من الكبر الذي يوجب التكبر على الحق، واستعذ بالله من شياطين الإنس والجن، واستعذ بالله من جميع الشرور.

وقد آثر التعبير القرآني انتقاء الألفاظ الموحية التي تحمل طاقات دلالية واسعة، فقد قال المولى استعذ بالله ولم يذكر ما يستعيذ، إرادة لتعميم الاستعاذة، وجاء بـ "إن" لتوكيد المعنى، وكذلك ضمير الفصل (هو) لحصر المعنى وتوكيده. ، ويشير هذا التعبير إلى التعريض بالمتحدث عنهم، وهم الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان، والمعنى : أنه هو القادر على إبطال ما يصنعونه لا أنت، فكيف يتم لهم ما أضمروه لك( [[64]](#endnote-64)) .

وجاء لفظ "السَّمِيعُ" على صيغة المبالغة؛ ليوحي بقدرة المولى على سماع جميع الأصوات على اختلافها، وكذلك لفظ "الْبَصِير" ورد على صيغة المبالغة؛ ليومئ بأنه بصير بجميع المرئيات، بأي محل وموضع وزمان كانت.

وخلاصة القول إن المتأمل في قصص الأنبياء والمرسلين والصالحين في القرآن، يجدهم يشتركون في كثير من الصفات والملامح، فهم جميعا بشر لا ملائكة، وعندهم من الغرائز البشرية ما عند سائر البشر، غير أنهم كانوا الأنموذج للكمال البشري([[65]](#endnote-65)).

**المبحث الخامس: ملامح شخصية الملائكة الكرام:**

تمثل الملائكة الكرام إحدى أهم الشخصيات الغيبية غير البشرية في قصص القرآن الكريم، أوكلت لهم أعمال، وأسندت إليهم أفعال وأقوال, وكانوا طرفاً في حوار مع رب العزة والرسل - صلوات الله وسلامه عليهم-.

ويتضح من خلال النصوص القرآنية لسورة غافر أبرز سمات الملائكة ومعالم شخصياتهم وذلك في قوله تعالى: **الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُم وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَن تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** (غافر:7، 9).

يتبين من خلال النص القرآني السابق عدد من معالم شخصية الملائكة التي من أبرزها, خلو شخصية الملائكة من ذكر الصفات الخارجية من الهيئة والصفة خلواً تاماً بخلاف ما ورد في مطلع سورة فاطر في قوله تعالى:  **الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ**( فاطر:1).

ومن سمات الملائكة وصفاتهم الإيجابية في الآية الكريمة؛ كونهم من حملة العرش المقربين الأطهار، وأنهم من أفضل الملائكة، وأطهرهم عند الله- تبارك وتعالى-، وهم صفوة الملائكة, فضّلهم ربهم, وجعلهم من أقربهم منزلة ومكانة عنده.

وهناك صنف آخر من الملائكة يطوفون حول العرش، محدقين مصطفين بحافته وجوانبه, يمجدون ربهم بكل خير، وينزهونه عن كل سوء, وهم أقرب الملائكة إلى العرش، ولهم المكانة و الفضل والشرف الكبير([[66]](#endnote-66)).

وفي النصوص القرآنية ما يحدد هذه الصفة، يقول الله تعالى: **وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** (الزمر:75).

ومن معالم شخصية الملائكة وسماتهم، التسبيحُ والتحميد؛ ذلك أنهم مستغرقون في تسبيح الله وتنزيهه عن كل عيب ونقص, إنهم يلهجون بحمده والثناء عليه بكل ما يليق به من جلال وكمال, والاعتراف له بالفضل والإنعام المطلق، وهم يسبحون الله بدعاء واحد هو "سبحانك" ، وهم يتجهون في قبلتهم إلى العرش، فالتسبيح هو تنزيه الله تعالى عما لا ينبغي, والتحميد هو الاعتراف بأنه المنعم على الإطلاق, "فالتسبيح إشارة إلى الجلال، والتحميد إشارة إلى الإكرام"([[67]](#endnote-67) ).

قرن الخطاب القرآني بين التسبيح والتحميد؛ لأن كل تسبيحة تستوجب حمداً, وهذا هو الشغل الوحيد للذين يحملون العرش, وشغل من حوله([[68]](#endnote-68)).

ويعد الإيمان الخالص بالله من المعالم البارزة لشخصية الملائكة حملة العرش والذين يحفون به، إنهم يؤمنون بالله إيماناً خالصاً بدون أن يروه، لا يشوبه شيء, ويذعنون للواحد القهار, وأنهم يصدقون بوجوده, ويقرون، ويشهدون أنه لا إله لهم سواه، ولا يستكبرون عن عبادته, قال الزمخشري:" فإن قلت ما فائدة قوله:" ويؤمنون به" ولا يخفى أن حملة العرش وجميع الملائكة يؤمنون بالله؟ فالجواب: إن ذلك إظهار لفضيلة الإيمان وشرفه والترغيب فيه([[69]](#endnote-69)).

ومن ملامح شخصية الملائكة الإيجابية، الاستغفارُ للمؤمنين التائبين، إنه استغفار الملائكة، ومظهر من مظاهر العطف على المؤمنين, إنه إشعار بمحبتهم لهم, وعنايتهم بشأنهم؛ لأنهم مثلهم في الإيمان بوحدانية الله، فرابط الإيمان هو الذي يجمعهما، وهو باعث الملائكة على الدعاء للموحدين, وسؤال المولى – عز وجل- بأن يصلح لهؤلاء المؤمنين دينهم وآخرتهم, وأن يغفر لمن يمثل إقرارهم من وحدانية الله, وتفرده بالعبادة, دافعهم إلى ذلك ما يكنونه للمؤمنين المتقين من المحبة والعطف, والرحمة واللطف والحنان, ويتوسلون إلى ربهم أن يدخل المؤمنين الموحدين من عباده الجنة، وينجيهم من عذاب النار([[70]](#endnote-70)).

ويجد المتلقي في هذه الآيات الكريمات من أنواع المعاني أشياء حسنة، وأساليب تعبيرية جميلة منها: تجلى جمال الخطاب القرآني في رسم قسمات شخصية الملائكة وتصويرها فيما استخدمه من أساليب التعبير القرآنية, من دقة في اختيار الألفاظ والتراكيب التي تعبر عن المشهد أو الموقف تعبيراً يحتوي على القيم الجمالية والتعبيرية.

ومنها: تكرارُ أسلوب النداء في دعاء الملائكة للمؤمنين؛ لأن الدعاء أدخل في التضرع وأرجى للإجابة([[71]](#endnote-71))، وآكد في الزيادة في الاستعطاف والاسترحام, والمبالغة في التضرع إلى الله بالاستعانة([[72]](#endnote-72)).

ومن أساليب النظم القرآني، خطابُ المولى - عز وجل- بنداء "ربنا" , ولفظ الجلالة أشمل وأدل على الألوهية والهيمنة المطلقة, وأن كلمة "الرب" هي الأجرى في الدعاء، ولفظ "الرب" فيه معنى الرعاية والتربية. أما حذف حرف النداء من قوله تعالى "ربنا"، فيفيد قوة إحساس الداعي بقربه من ربه، وأن كلمة "رب" بهذا المعنى فتحت ذكر سعة الرحمة والعلم, وقدمت الرحمة على العلم؛ لأن المقام مقام طلب المغفرة والرحمة, فكانت الرحمة أحق بالتقديم؛ لأن المقام بشأنها أعنى([[73]](#endnote-73)).

ومنها:- أيضاً - انتفاءُ الدوال، واختيارُها الدقيق المحكم؛ لما تحمله من طاقات إيحائية غنية بالمعاني، ومثال ذلك اختيار لفظتي: "العزيز" و"الحكيم"؛ لما يحملانه من التنزيه والتمجيد لله تعالى, فـ "العزيز" هو الذي لا يغلب, ولا يمتنع عليه شيء و"الحكيم" هو الذي لا يفعل إلا ما فيه الحكمة والمصلحة، وجمع النص القرآني– كذلك- بين العزة والحكمة, إشارة إلى أن العزة والغلبة يجب أن تكون محمية بالحكمة وحسن التقدير، وهذان اللفظان "العزيز" و"الحكيم هما لفظان متساوقان مع الجو العام للسورة.

ومنها: إبراز الجملة في قوله تعالى: **إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**  (غافر:7 9) مؤكدة (بإنّ)، وضمير الفصل (أنت)، وبإعادة الصفتين اللتين تضمنتهما الجملة السابقة (**الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**).

ومنها: اختيار الأفعال المضارعة وانتقاؤها من مظاهر الإعجاز اللغوي في تصوير معالم شخصية الملائكة مثل: (يسبحون, يؤمنون, يستغفرون)، وهي أفعال تفيد الاستمرار والتجدد والحيوية والحركة.

ومنها: ذكر حرف الجر (الباء) في قوله تعالى: **يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ** "فالباء هنا للملابسة, أي يسبحون الله تسبيحاً مصاحباً للحمد([[74]](#endnote-74)).

**الخاتمة:**

يستخلص من هذه الدراسة التي عرضت لأبرز ملامح الشخصية الإيجابية في سورة غافر جملة من النتائج من أهمها:

* تعد الشخصية أساس العمل الأدبي، وعصب القصة القرآنية، وعمودها الفقري، فبوجودها يغدو للعمل الأدبي قيمة وقدراً، وهي همزة الوصل بين العناصر الفنية المكونة للقصة.
* جاء رسم الشخصيات الإيجابية بكل يسر وسهولة، فلم يعتمد النظم القرآني في عرضها على جانب توضيحي خيالي رمزي؛ وإنما وقف على جميع معالم الشخصية بطريقة واقعية.
* رُسمت الشخصيات الإيجابية بطريقة محكمة أعربت عن حقيقتها إعراباً تاماً، وشفت عن جوانبها الفكرية النفسية وأحوالها وعاداتها، وما لها من ظلال وقيم.
* يزيد التركيز على دراسة الشخصية الإيجابية القصةَ القرآنية تشويقاً وإثارة وشداً لانتباه المتلقي.
* يلحظ القارئ أن ثمة تنوعاً في رسم معالم الشخصية الإيجابية، وتصوير ملامحها، كأن يستعمل النص القرآني التشخيص بالفعل أو الفكر أو الرأي أو الحوار؛ الأمر الذي زاد من عمق القصة وحيويتها.
* بينّت الدراسة أن أبرز أبعاد رسم الشخصية الإيجابية هو البعد الفكري العقدي، ويليه البعد النفسي؛ لأنهما الأقرب إلى خدمة مقاصد السورة وأهدافها، والموضوع الذي تطرحه.
* توصلت الدراسة إلى أن كل شخصية من شخصيات قصص سورة غافر تتفاعل مع سائر الشخصيات الأخرى تفاعلاً تاماً، وأن تلك الشخصيات يكمل بعضها بعضاً، بحيث يحسّ المتلقي بأن ثمة سلكاً منتظماً متيناً يجمع هذه الشخصيات.
* كشفت الدراسة أن الشخصية الإيجابية بالرغم من أنها شخصيات دينية واقعية، فإنها ظلت تحتفظ بالخصائص الجمالية التي تعتمد على الشخصية وهي: الحدث والصراع والتشويق، وقد جاء مستوى التعبير الفني في رسم ملامح تلك الشخصيات رفيعاً وفي أعلى درجات الجمال والكمال بياناً وإعجازاً.
* على الرغم من تعدد أساليب القرآن الكريم في رسم معالم الشخصيات الإيجابية، فإن ثمة قواسم مشتركة بين تلك الملامح، إذ إن النظم القرآني قد رسم معالم هذه الشخصيات على صورة خيرية مواجهة تيارات الشر التي تعج بها الحياة.

**الهوامش:**

1. ) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي تحقيق: سالم البدري، ط 1، بيروت، دار الكتب العلمية، 2000 م, 7/349, 350 . [↑](#endnote-ref-1)
2. ) سنن الترمذي، الترمذي تحقيق بشار عواد معروف، دار الغرب بيروت، 1998 ،5 / 175 ، حديث رقم2879 . [↑](#endnote-ref-2)
3. ) أسماء سور القرآن وفضائلها، منيرة محمد الدوسري، دار الجوزي، الدمام: ط 1، 1426هـ. ص351, 352. [↑](#endnote-ref-3)
4. ) في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، ط8 ، 1979 ، 5/3065 [↑](#endnote-ref-4)
5. ) صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني الناشر، دار الصابوني ، القاهرة ،ط 1 ، 1997 م، , 3/89 [↑](#endnote-ref-5)
6. ) تفسير فتح القدير ، الشوكاني، تحقيق سيد إبراهيم، دار الحديث، القاهرة، 2003 ،4 / 626 . [↑](#endnote-ref-6)
7. ) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، جمعية إحياء التراث الإسلامي، الكويت، د. ت، 4 / 2030 [↑](#endnote-ref-7)
8. ) المصدر السابق نفسه4 / 2030. [↑](#endnote-ref-8)
9. ) السابق: 4 / 2030. [↑](#endnote-ref-9)
10. (بناء الشخصية الرئيسية في رواية "عمر يظهر في القدس"للروائي "نجيب الكيلاني"، عبد الرحيم حمدان،

    بحث مقدم للمؤتمر الخامس لكلية الآداب، الذي أقامته الجامعة الإسلامية بغزة في الفترة 7 – 8 م /٠٥/2011، ص 113 . [↑](#endnote-ref-10)
11. ) المكان في الرواية البحرينية"دراسة نقدية"، فهد حسين، فراديس للنشر والتوزيع، بيروت ، ٢٠٠٣ ص 45. [↑](#endnote-ref-11)
12. ) دراسات في نقد الرواية، طه وادي ، دار المعارف، القاهرة،، ١٩٩٤ ، ص ١٢٣، ١٢٢ [↑](#endnote-ref-12)
13. ) بناء الشخصية الرئيسية في رواية "عمر يظهر في القدس"، عبد الرحيم حمدان، ص 114 . [↑](#endnote-ref-13)
14. ) ينظر: فنون النثر العربي الحديث, شكري عزيز الماضي, منشورات جامعة القدس المفتوحة, 2008 ص 32،33. [↑](#endnote-ref-14)
15. ) ينظر: فن القصة, محمد يوسف نجم, دار صادر بيروت, ط أولى, 1996, ص 98. [↑](#endnote-ref-15)
16. ) الإعجاز البلاغي في القصة القرآنية : دراسة في سور الطواسين، [عدنان مهدي الدليمي](https://www.google.com/search?client=firefox-b-d&tbm=bks&q=inauthor:%22%D8%B9%D8%AF%D9%86%D8%A7%D9%86+%D9%85%D9%87%D8%AF%D9%8A+%D8%A7%D9%84%D8%AF%D9%84%D9%8A%D9%85%D9%8A%22&sa=X&ved=2ahUKEwjRya6735jgAhWM6qQKHR5kCpEQ9AgwAXoECAgQAg) 2013 ص 23 . [↑](#endnote-ref-16)
17. ) بنية الشكل الروائي: الفضاء - الزمن - الشخصية، حسن بحراوي ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط3 ، ١٩٩٠ ، ٢ [↑](#endnote-ref-17)
18. ) الشخصيات القرآنية، نزيه محمد أعلاوي، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، ط 1 ، 2006 ، ص207. [↑](#endnote-ref-18)
19. ) قصص القرآن الكريم، سعيد محمد اللحام، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط 1 ، 1987 ، ص 147 . [↑](#endnote-ref-19)
20. ) التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، دار المعارف ، الطبعة التاسعة، 1980.، 146 ، 147 . [↑](#endnote-ref-20)
21. ) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق محمد التونجي، الناشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط،٢، ١٩٩٧ ، 102. [↑](#endnote-ref-21)
22. ) روائع الإعجاز في القصص القرآني دراسة خصائص الأسلوب القصصي المعجز, محمود السيد حسن، الإسكندرية [المكتب الجامعي الحديث للطباعة والنشر، ط 2 ،2003 ،](https://library.nauss.edu.sa/cgi-bin/koha/opac-search.pl?q=Provider:%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%83%D8%AA%D8%A8%20%D8%A7%D9%84%D8%AC%D8%A7%D9%85%D8%B9%D9%8A%20%D8%A7%D9%84%D8%AD%D8%AF%D9%8A%D8%AB%20%D9%84%D9%84%D8%B7%D8%A8%D8%A7%D8%B9%D8%A9%20%D9%88%D8%A7%D9%84%D9%86%D8%B4%D8%B1%D8%8C) ص 207. [↑](#endnote-ref-22)
23. )آل حمم –غافر، دراسة في أسرار البيان: محمد محمد أبو موسى, مكتبة وهبة, ط أولى, 2009, ص 91 [↑](#endnote-ref-23)
24. ) خصائص التراكيب، محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة ، ٢٠٠٦، ص 130 . [↑](#endnote-ref-24)
25. ) ينظر: معالم الشخصية الإيجابية للدعاة من غير الأنبياء في القرآن الكريم، عبد الرحيم الشريف، مجلة دراسات علوم الشريعة والقانون، الجامعة الأردنية، مجلد44، ملحق 2، 8 / 2017، ص243-255. [↑](#endnote-ref-25)
26. ) التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب ، ط1 بيروت، دار الفكر العربي1993، 12 / 1247 . [↑](#endnote-ref-26)
27. ) ينظر: إرشاد العقل السليم، ، أبو السعود، دار المصحف، القاهرة.(د.ت ). 7 / 237 . [↑](#endnote-ref-27)
28. ) ينظر: التفسير الموضوعي لسورة فاطر، جامعة الشارقة، 2007 م. ص549 . [↑](#endnote-ref-28)
29. ) ينظر: تفسير الرازي27 / 507 ،508 ، [↑](#endnote-ref-29)
30. ) السابق: 27 / 507 ، 508 ، [↑](#endnote-ref-30)
31. ) أنوار التنزيل ، البيضاوي، 2 / 55. [↑](#endnote-ref-31)
32. ) إرشاد العقل السليم، أبو السعود 5 / 8 . [↑](#endnote-ref-32)
33. ) تفسير النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، دار الكلم الطيب، دمشق، ط أولى، 19983 / 207 ، 208. [↑](#endnote-ref-33)
34. ) التحرير والتنوير ، الطاهر بن عاشور 24 / 127 . [↑](#endnote-ref-34)
35. ) التفسير الموضوعي, ص 549. [↑](#endnote-ref-35)
36. ) الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية: محمود السيد حسن ص 71 . [↑](#endnote-ref-36)
37. ) ينظر: السابق, ص131 . [↑](#endnote-ref-37)
38. ) خصائص القصة الإسلامية، مأمون فريز جرار، دار المنارة للنشر والتوزيع، جدة د.ت، ص 77. [↑](#endnote-ref-38)
39. ) مفحمات الأقران في مبهمات القرآن، جلال الدين السيوطي، دار الهدى للطباعة، الجزائر، د. ت ص 102 ، 103 . [↑](#endnote-ref-39)
40. ) بناء الشخصية في القصة الإسلامية، مصطفى عليان، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني, العدد44, سنة 1992. , ص298. [↑](#endnote-ref-40)
41. ) ينظر: الكشاف، للزمخشري، جار الله محمود بن عمر مكتبة العبيكان، الرياض ، ط أولى ،1998. 4/164. [↑](#endnote-ref-41)
42. ) صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني الناشر، دار الصابوني ، القاهرة ،ط 1 ، 1997 م. 3/97. [↑](#endnote-ref-42)
43. ) التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب، 12 / 1226. [↑](#endnote-ref-43)
44. ) بناء الشخصية في القصة الإسلامية، مصطفى عليان، ص297. [↑](#endnote-ref-44)
45. ) كنز الدقائق وبحر الغرائب ومستدركاته، [الشيخ محمد بن محمد رضا القمي المشهدي](http://alfeker.net/authors.php?id=1200)، تحقيق: حسين دركاهي، مؤسسة شمس الضحى الثقافية، طهران، 13/97. [↑](#endnote-ref-45)
46. ) سنن أبي داود، أبو داود، تحقيق الألباني، مكتبة المعارف، الرياض ، 1417 هـ ، حديث رقم4344 . [↑](#endnote-ref-46)
47. ) صحيح البخاري ، كتاب أصحاب النبي – صلى الله عليه وسلم - باب لو كنت متخذاً خليلاً، 5 / 60. [↑](#endnote-ref-47)
48. ) صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني 3 / 98 . [↑](#endnote-ref-48)
49. )الحوار ورسم الشخصيات في القصص القرآني, عبد المرضي زكريا ، مكتبة الزهراء، 1997م ص38. [↑](#endnote-ref-49)
50. ) في ظلال القرآن، سيد قطب، 5/3080. [↑](#endnote-ref-50)
51. ) الحوار ورسم الشخصيات في القصة القرآنية. [زكريا، عبد المرضي](https://www.google.ps/search?hl=ar&tbo=p&tbm=bks&q=inauthor:%22%D8%B2%D9%83%D8%B1%D9%8A%D8%A7%D8%8C+%D8%B9%D8%A8%D8%AF+%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B1%D8%B6%D9%8A%22&source=gbs_metadata_r&cad=2)، ص 123 . [↑](#endnote-ref-51)
52. ) القصص القرآني ، إيحاؤه ونفحاته ، فضل حسن عباس، دار الفرقان ، عمان، الأردن،22 ، 1992 ،ص 123 . [↑](#endnote-ref-52)
53. ) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، 2010. 324 / 12. [↑](#endnote-ref-53)
54. ) عبد الفتاح عثمان، بناء الرواية، القاهرة، مكتبة الشباب 120. [↑](#endnote-ref-54)
55. ) ينظر: بناء الشخصية في القصة الإسلامية, مصطفى عليان, ص 301 . [↑](#endnote-ref-55)
56. ) الكشاف، للزمخشري 4 / 162 . [↑](#endnote-ref-56)
57. ) الوسيط في تفسير القرآن, سيد طنطاوي، 12/285. [↑](#endnote-ref-57)
58. ) البحر المحيط, أبو حيان ،7/464. [↑](#endnote-ref-58)
59. ) التفسير الموضوعي 6/527. [↑](#endnote-ref-59)
60. ) صحيح الجامع الصغير وزيادته، الألباني برقم: (5668) 2/ 989. [↑](#endnote-ref-60)
61. ) التفسير الكبير, الرازي 27/85. [↑](#endnote-ref-61)
62. ) سور الحواميم، دراسة بلاغية تحليلية، عبد القادر الحمداني، دار الكتب العلمية بيروت ، ص56 [↑](#endnote-ref-62)
63. ) في ظلال القرآن, سيد قطب 5/3098. [↑](#endnote-ref-63)
64. ) التحرير والتنوير 25 / 95 . [↑](#endnote-ref-64)
65. ) ينظر: أدب القصة في القرآن الكريم، دراسة تحليلية كاشفة عن عالم الإعجاز، عبد الجواد محمد المحص، الدار المصرية، الإسكندرية، سلسلة الدراسات القرآنية(1) ،٢٠٠٠م، ص154 .

    **مصادر الدراسة ومراجعها:**

    1. أعلاوي، نزيه محمد، الشخصيات القرآنية، عمان، دار صفاء للنشر والتوزيع، ط 1 ، 2006م.
    2. الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 2010.
    3. الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 2010.
    4. البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، بيروت، دار الكتب العلمية، ، 2006 .
    5. البيضاوي، أنوار التنزيل من أسرار التأويل، ، مؤسسة شعبان للنشر والتوزيع، بيروت، (د. ت).
    6. بحراوي، حسن، بنية الشكل الروائي: الفضاء - الزمن - الشخصية، الدار البيضاء المركز الثقافي العربي، ط3 ، ١٩٩٠
    7. الترمذي، سنن الترمذي، تحقيق بشار عواد معروف، بيروت، دار الغرب، 1998 .
    8. جرار، مأمون فريز، خصائص القصة الإسلامية، جدة ، دار المنارة للنشر والتوزيع،( د.ت) .
    9. الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، تحقيق محمد التونجي، بيروت، الناشر دار الكتاب العربي، ط،٢، ١٩٩٧.
    10. حسن، محمود السيد، روائع الإعجاز في القصص القرآني دراسة خصائص الأسلوب القصصي المعجز, الإسكندرية [المكتب الجامعي الحديث للطباعة والنشر، ط 2 ،2003م](https://library.nauss.edu.sa/cgi-bin/koha/opac-search.pl?q=Provider:%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%83%D8%AA%D8%A8%20%D8%A7%D9%84%D8%AC%D8%A7%D9%85%D8%B9%D9%8A%20%D8%A7%D9%84%D8%AD%D8%AF%D9%8A%D8%AB%20%D9%84%D9%84%D8%B7%D8%A8%D8%A7%D8%B9%D8%A9%20%D9%88%D8%A7%D9%84%D9%86%D8%B4%D8%B1%D8%8C)
    11. حسن، محمود السيد ، الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية، الاسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، 1981 م.
    12. حسين، فهد ، المكان في الرواية البحرينية"دراسة نقدية"، بيروت، فراديس للنشر والتوزيع، ٢٠٠٣ م.
    13. حمدان، عبد الرحيم ،بناء الشخصية الرئيسية في رواية "عمر يظهر في القدس، "للروائي "نجيب الكيلاني"، المؤتمر الخامس لكلية الآداب، الجامعة الإسلامية ، غزة 2011.
    14. الحمداني، عبد القادر، سور الحواميم، دراسة بلاغية تحليلية، بيروت، دار الكتب العلمية،(د. ت) .
    15. أبو حيان، الأندلسي، تفسير البحر المحيط، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط4 ، 1990م .
    16. الخطيب، عبد الكريم ، التفسير القرآني للقرآن، بيروت، دار الفكر العربي، ط3 ، 1991 .
    17. أبو داود، سنن أبي داود، ، تحقيق الألباني، الرياض ، مكتبة المعارف، 1417 هـ .
    18. الدليمي، عدنان مهدي، الإعجاز البلاغي في القصة القرآنية، دراسة في سور الطواسين، عمان، دار غيداء للنشر والتوزيع ، 2013 .
    19. الدوسري، منيرة محمد، أسماء سور القرآن وفضائلها، الدمام، دار الجوزي، ط1، 1426هـ.
    20. الرازي، فخر الدين تفسير الرازي مفاتيح الغيب، بيروت ، دار الفكر للطباعة والنشر ،1981
    21. زكريا، عبد المرضي، الحوار ورسم الشخصيات في القصص القرآني, القاهرة، مكتبة زهراء الشرق، 1997م .
    22. الزمخشري، جار الله محمود بن عمر، الكشاف، الرياض ، مكتبة العبيكان، ط أولى ،1998.
    23. السيوطي، جلال الدين ، مفحمات الأقران في مبهمات القرآن، الجزائر، دار الهدى للطباعة،( د.ت) .
    24. أبو السعود، محمد بن محمد، إرشاد العقل السليم، إِلى مزايا الكتاب الكريم، القاهرة، دار المصحف،(د.ت ).
    25. الشريف، عبد الرحيم، معالم الشخصية الإيجابية للدعاة من غير الأنبياء في القرآن الكريم، الأردن، مجلة دراسات علوم الشريعة والقانون، الجامعة الأردنية، مجلد44، ملحق 2، 8 / 2017.
    26. الشوكاني، تفسير فتح القدير، تحقيق سيد إبراهيم، القاهرة، دار الحديث، 2003 .
    27. الصابوني، محمد علي، صفوة التفاسير، طبعة أولى، القاهرة، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع،1997 م
    28. طنطاوي، محمد سيد، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، القاهرة ، دار نهضة مصر، ط أولى، 1998.
    29. ابن عاشور، الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، تونس ، الدار التونسية للنشر،1984 م.
    30. عباس، فضل حسن، القصص القرآني، إيحاؤه ونفحاته، عمان، دار الفرقان، 1992.
    31. عثمان، عبد الفتاح ، بناء الرواية ، القاهرة، مكتبة الشباب، 1982.
    32. عليان، مصطفى، بناء الشخصية في القصة الإسلامية، الأردن، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني, العدد44, سنة 1992.
    33. القرطبي، محمد بن أحمد ، الجامع لأحكام القرآن، تقديم، خليل محيي الدين الميس، وضبط مراجعه صدقي جميل العطار، وخرج أحاديثه عرفات العشّا، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر،1954 م.
    34. قطب، سيد، في ظلال القرآن، بيروت، دار الشروق، ط8، 1979 م.
    35. قطب، سيد، التصوير الفني في القرآن، القاهرة ، دار المعارف، ط 9، 1980 م.
    36. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، الكويت،، جمعية إحياء التراث الإسلامي، ط5 ، 2005.
    37. اللحام، سعيد محمد، قصص القرآن الكريم، بيروت، دار ومكتبة الهلال، ط 1 ، 1987.
    38. الماضي، شكري عزيز, فنون النثر العربي الحديث, منشورات جامعة القدس المفتوحة, 2008م.
    39. المحص، عبد الجواد محمد، أدب القصة في القرآن الكريم، دراسة تحليلية كاشفة عن عالم الإعجاز، الإسكندرية، الدار المصرية، سلسلة الدراسات القرآنية(1) ،٢٠٠٠م.
    40. أبو موسى، محمد محمد, آل حمم – غافر، دراسة في أسرار البيان، القاهرة، مكتبة وهبة, ط أولى, 2009م.
    41. أبو موسى، محمد محمد ، خصائص التراكيب، القاهرة ، مكتبة وهبة، ٢٠٠٦.
    42. المشهدي، محمد بن محمد رضا القمي، كنز الدقائق وبحر الغرائب ومستدركاته، تحقيق: حسين دركاهي، طهران،مؤسسة شمس الضحى الثقافية، ( د.ت) .
    43. نجم، محمد يوسف، فن القصة, بيروت، دار صادر, ط أولى, 1996.
    44. نخبة من علماء التفسير وعلوم القران، التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، بإشراف د. مصطفى مسلم، الشارقة، جامعة الشارقة كلية الدراسات العليا والبحث العلمي، ط1 ، 2010.
    45. النسفي، تفسير النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، دمشق، دار الكلم الطيب، ط أولى، 1998.
    46. وادي، طه، دراسات في نقد الرواية، القاهرة، دار المعارف،١٩٩٤م.

    [↑](#endnote-ref-65)
66. ) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2006 م. [↑](#endnote-ref-66)
67. ) الرازي 27/50. [↑](#endnote-ref-67)
68. ) حم غافر-فصلت, محمد محمد أبو موسى 35. [↑](#endnote-ref-68)
69. ) الكشاف, الزمخشري 4/18. [↑](#endnote-ref-69)
70. ) ينظر: التفسير الموضوعي 6/535. [↑](#endnote-ref-70)
71. )ابن عاشور 24/95. [↑](#endnote-ref-71)
72. )البحر المحيط, أبو حيان 9/239. [↑](#endnote-ref-72)
73. ) ينظر: حم غافر, فصلت , محمد محمد أبو موسى, ص 39-40 [↑](#endnote-ref-73)
74. ) التحرير والتنوير, ابن عاشور 24/90. [↑](#endnote-ref-74)